

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ

١٧٦

التعليق على

صحيح البخاري

نغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

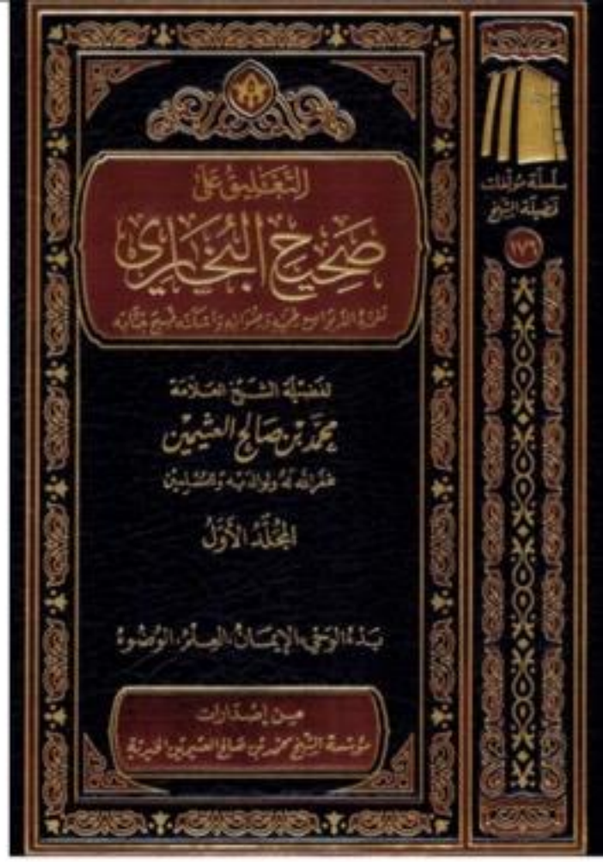
المجلد الأول

بدء الوحي، الإيمان، العلم، الوضوء

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

ليس للرجل أن يملك مال امرأته

٩/ ٣٤٠



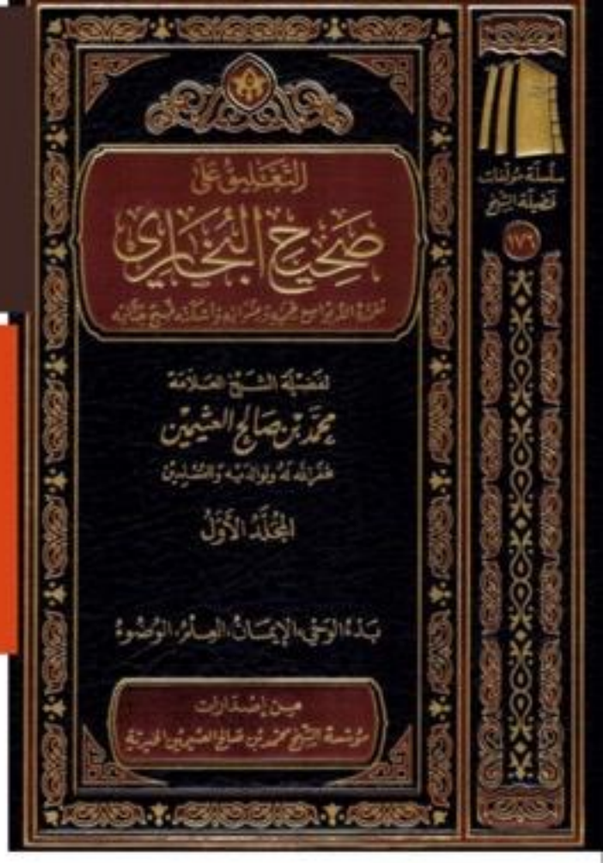
لكن هل الرجل إذا تزوَّج المرأة يملك مالها؟

نقول: لا، لا يملكه، لكن غالبًا لا تبخل الزوجة بمالها على زوجها، وتبسُّط الزوج بمال زوجته أمر معلوم، لا أحد يُنْكره، ورُبَّما يُؤَمِّل -ولو كان أملًا بعيدًا- أنها تموت، فيرثها.

لكن اعلم أنه إذا كانت الزوجة يتيمةً فإنه لا تصح هبتُها؛ وذلك لأنه لا يصح تبرُّع مَن لم يكن بالغًا رشيدًا، فإذا بلغت لم تكن يتيمةً، ويرتفع عنها الوصف، وتكون مستقلَّةً بنفسها.

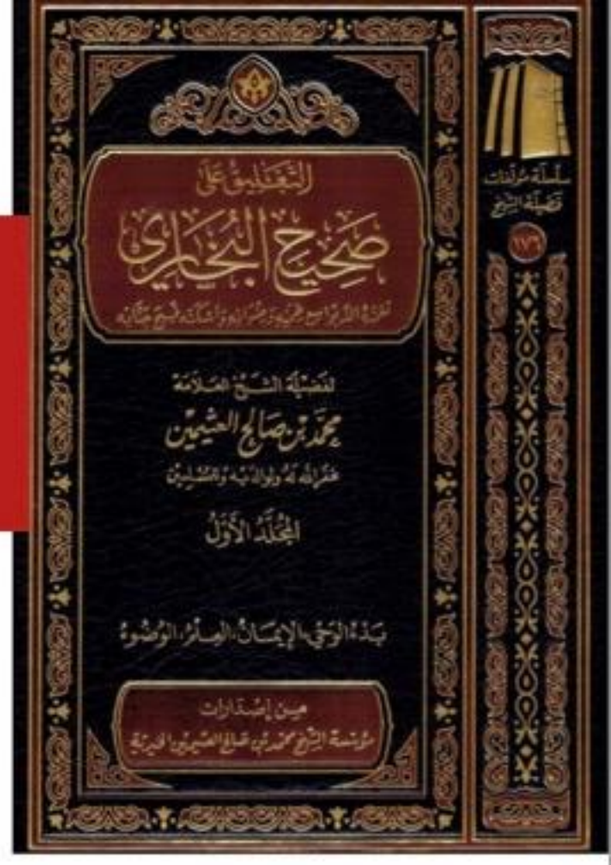
الفرق بين يستنكف ويستكبر في قوله تعالى:

(وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ)



٩/ ٣٣٥

[٢] قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَسْتَنْكِفُ: يَسْتَكْبِرُ»، هذا اللفظ في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢]، وهذا التفسير يُوجب إشكالًا، وهو التكرار، فإذا فسَّرنا: ﴿يَسْتَنكِفْ﴾ بـ:«يستكبر» صار المعنى: ومن يستكبر عن عبادته ويستكبر، والأصل في العطف المغايرة وعدم التوكيد، فإذن لابُدَّ أن يكون هناك فرق، وهذا الفرق لطيف، وهو أن الاستنكاف استكبار مع كراهية وترك، وأمَّا الاستكبار فقد يستكبر الإنسان عن الفعل وإن كان لا يكرهه، لكن لا يرى نفسه مُلْزَمًا به أو نازلًا إليه كما يزعم المستكبر.

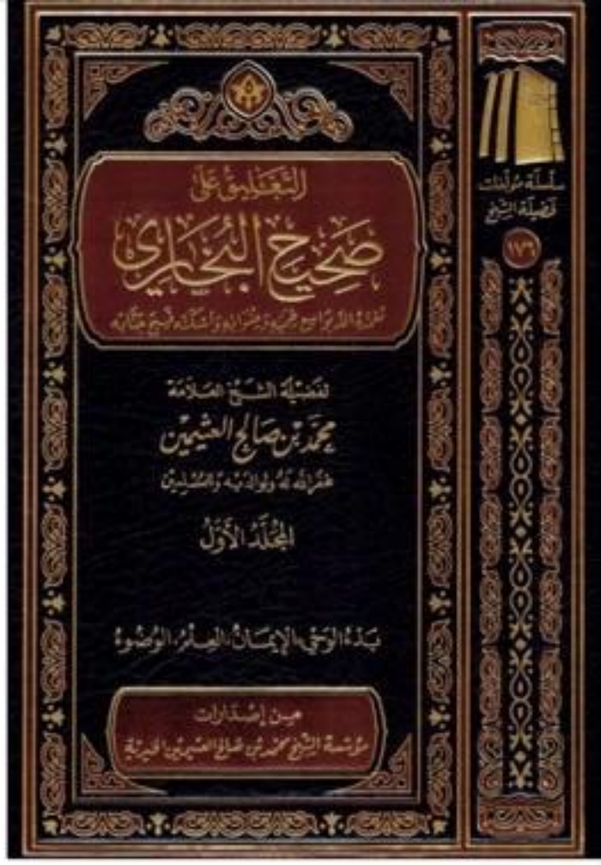


الاحتجاج بالقَدَر على التعذيب والمعصية

٩/ ٤٠٥

والاحتجاج بالقدر على مسألة التعذيب والمعاصي لا يُفيد؛ لأن الله بيَّن السُّبُل، وأعطى الإنسان عقلًا، وهذا الاحتجاج هو نظير الاحتجاج على عدم الولد بعدم الزواج، فلو قال مَن لم يتزوَّج: لماذا لم يُعطني الله ولدًا؟ نقول: لأنك لم تتزوَّج، فالمسألة واحدة، لكن لمَّا كانت النفوس تهوى المعاصي إلا مَن عصم الله صار بعض العُصَاة يحتجُّون بالقدر على المعصية، ولا حجَّة لهم فيه؛ لأن الرزق مكتوب، والأجل مكتوب، والعمل مكتوب، والسعادة أو الشقاوة مكتوبة، وكلُّ شيء مكتوب على حدٍّ سواء، فكما أنك لا تبقى في بيتك، وتقول: سيأتيني الرزق، ولكنك تسعى لطلب الرزق، فكذلك أيضًا السعادة.

ما الأفضل في حق من أصاب حدّاً؟



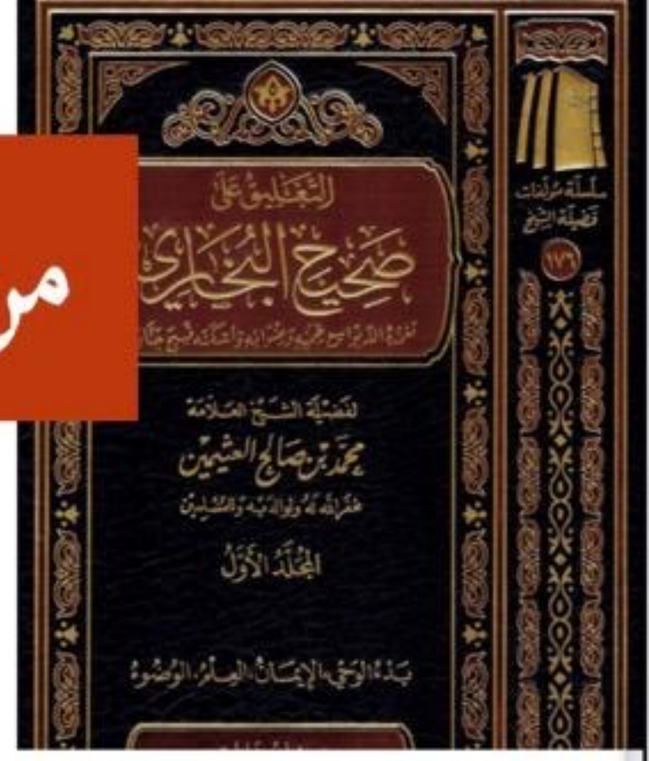
٩/ ٤٧٧

مسألة: مَن أصاب حدًّا فالأفضل أن يتوب بينه وبين الله، لاشَكَّ في هذا، ولا يذهب إلى الحاكم؛ ولهذا الرسول ﷺ لمَّا جاءه ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعرض عنه أربع مرَّات[٢]، فالأفضل أن يتوب الإنسان فيما بينه وبين الله في كل شيء.

إنما مَن رأى غيره على ما يُوجب الحد فهل الأفضل أن يرفعه إلى وليِّ الأمر، أو أن يدعه؟

الجواب: هذا فيه تفصيل، فإن كان الفساد كثيرًا في الناس أو كثيرًا في هذا الشخص نفسه فإن الأفضل أن يرفعه؛ لأنه إذا كان كثيرًا في الناس ورُفِعَ إلى الإمام وأُقيم عليه الحد ارتدع الناس، وإذا كان ليس كثيرًا في الناس، لكنه كثير في هذا الشخص، فإنه أيضًا يردعه، وهو من مصلحته أيضًا؛ لأن الحدود كفارة للذنوب،

من عزم على ترك الزكاة ومات هل تُؤدى عنه؟



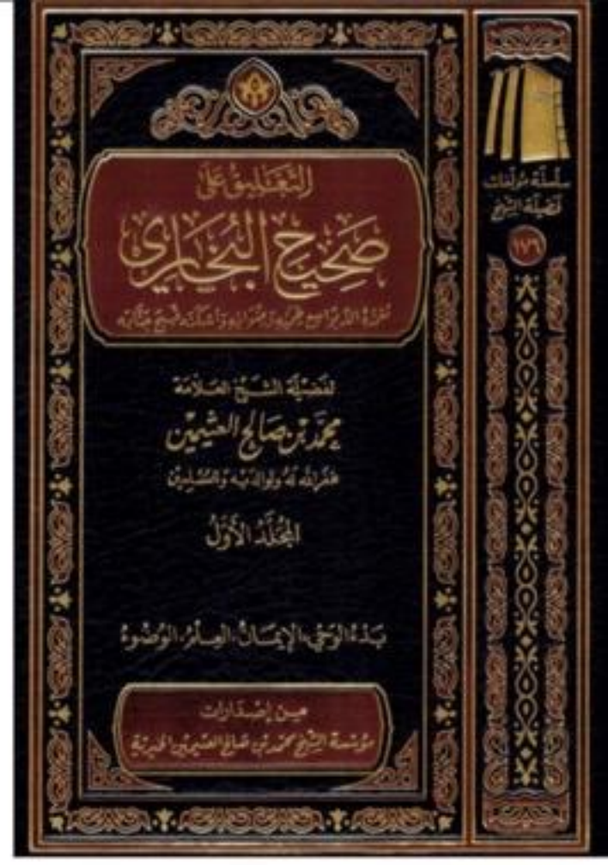
٩/ ٤٠٠

مثال ذلك: رجل متهاون بالزكاة، ومُصَمِّم على أنه لا يُخْرجها، لا يقول: أُخرجها غدًا أو بعد غد، فإن هذا لم يُصَمِّم على تركها، بل هو عازم على الإخراج، وإنما تهاون في الدفع، فهذا يُخْرَج عنه، لكن كلامنا في رجل صمَّم على ألَّا يُخْرِجها، ثم مات، وأراد الورثة أن يُخرجوها عنه، فهل ينفعه ذلك، أم لا؟

الجواب: الجمهور على أنه ينفعه، ويقولون: إن الزكاة غير مُوَقَّتة، وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «تهذيب السنن»، قال: إن الذي أرى أنه لا تنفعه، وأنه لو أخرجها الورثة من ماله ما نفعته؛ لأنه مُصَمِّم على ألَّا يُخرجها، فكيف ينفعه إخراج الزكاة؟ وماذا يُفيده؟ وقال: إن هذا هو مقتضى القياس الصحيح[1]، وما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوي جدًّا في النظر.

ورُبَّما يُؤَيِّده حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيح: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا**»[2]، والحديث الذي في الصحيحين: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ»[3]، فإن هذا الحديث عام: «فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ».

صحة التيمم على أرض فيها أعشاب



٩/ ٤٦٣

فإن قال قائل: إذا كانت الأرض فيها أعشاب، فهل يصح التيمم عليها؟

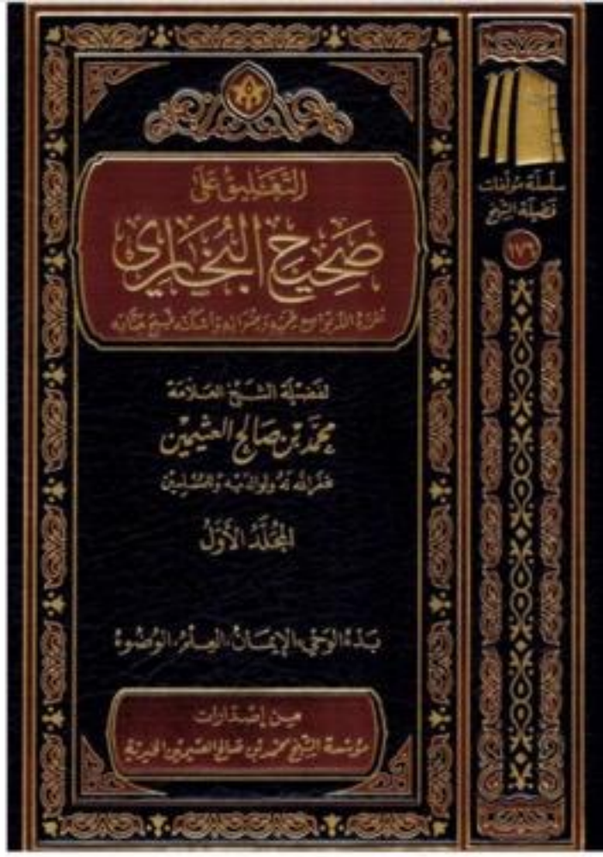
فالجواب: نعم، يصح التيمم عليها.

لكن ما المراد بالصعيد؟

الجواب: المراد: كلُّ ما على وجه الأرض من رمل وحجر وغيره، حتى إن الرسول ﷺ تيمَّم بالجدار، كما ثبت ذلك عنه[1]، وعلى هذا فما كان من الأرض فإنه يصحُّ التيمُّم به، ولا يُشْتَرَط فيه الغبار.

ما الحكم في أكل ذبائح أهل بلد بعضهم تحل ذبيحته؟

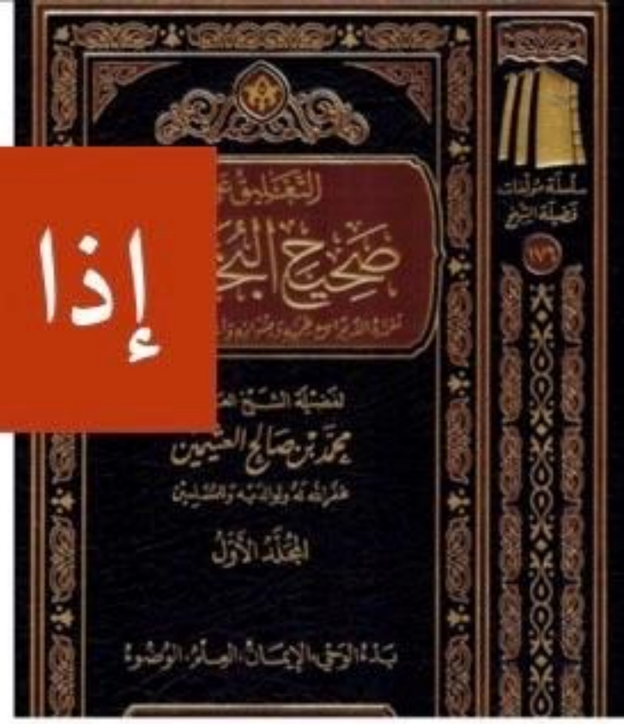
٩/ ٥٠١



فإن قال قائل: إذا كان أهل البلد بعضهم تحلُّ ذبيحته، وبعضهم لا تحلُّ، فكيف نصنع؟

فالجواب: العبرة بالأكثر، فإذا كنت في محلٍّ أكثر أهله ممَّن يحلُّ ذبيحته فكُلْ؛ اعتبارًا بالأكثر، هذا مع الشك، أمَّا مع وجود أمارات أخرى تدلُّ على هذا أو هذا فالأمر واضح.

إذا حرّم الإنسان على نفسه طعامًا طيباً فما كفارته؟



٩/ ٤٩٥

فإذا حرَّم الإنسان طيِّبات ما أحلَّ الله له فماذا يجب عليه؟

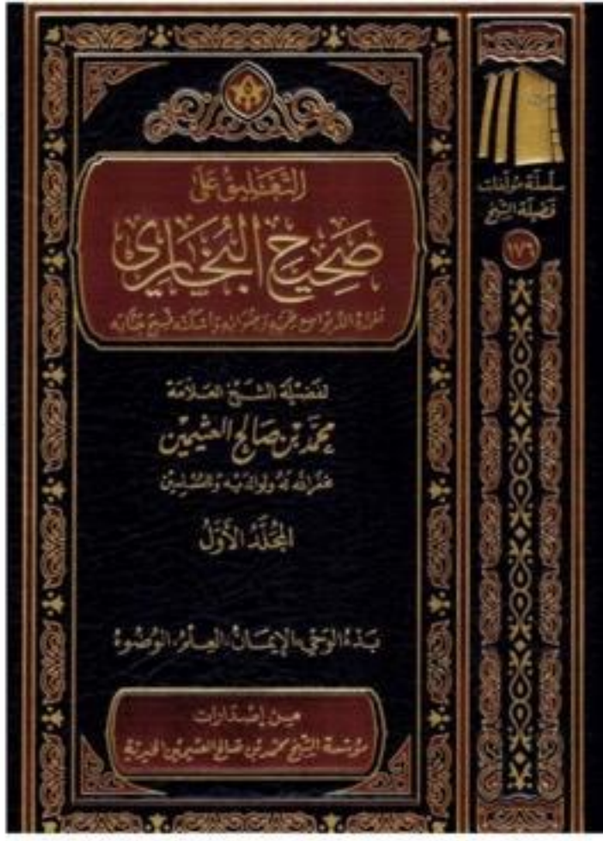
نقول: يجب عليه كفارة يمين إن أكله أو لبسه أو شربه أو ما أشبه ذلك.

مثال ذلك: إذا قال: «هذا الطعام عليَّ حرام» يُريد الامتناع منه، فهنا نقول: الطعام لا يحرم، وعليك إن أكلته كفَّارة يمين.

وكذلك إذا قال لشخص: «حرام عليَّ أن آكل غداءك، أو أدخل بيتك»، وقصده = أن يمتنع من ذلك، فنقول: هذا يمين، إن أكل من طعامه أو دخل بيته فعليه كفارة يمين.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم:١-٢]، فجعل الله تعالى التحريم يمينًا،

من تيسير الشريعة أن الإنسان لا يُكلف بالسؤال عن فعل غيره

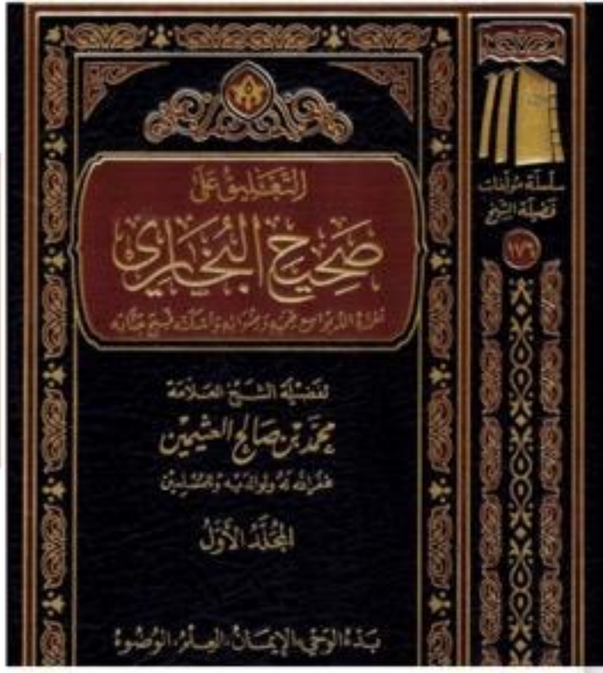


٩/ ٤٩٨

وهذا من تيسير الشريعة، ومن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ: أن الإنسان لا يُكَلَّف بالسؤال عن فعل غيره، حتى إذا أصابك ماء لا تدري: هل هو نجس، أو طاهر؟ فإنه يكره السؤال عن هذا كما قال العلماء، وعبارة متن المنتهى: «ومَن أصابه ماء ميزاب ولا أمارة كُرِهَ سؤاله»[1]، وقالوا: إن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أصابه ماء من حوض، وكان معه رفيق له، فقال رفيقه: يا صاحب الحوض! هل حوضك طاهر؟ فقال له عمر: يا صاحب الحوض! لا تُخْبرنا[2]، كلُّ هذا لأن الإنسان لا يُكَلَّف بفعل غيره.

ولو كُنَّا سنُحاسب أنفسنا على فعل غيرنا لقلنا: لا نأكل اللحم الذي في السوق؛ لأننا لا ندري: هل الذابح سمَّى، أم لا؟ ولا ندري كيف ذبحه؟ بل نقول: ما دام الشيء جاء من مصدر يحلُّ فلا تسأل، ولا تُتعب نفسك، واحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي يسَّر، ولم يُوجب علينا هذا الأمر.

ما المراد بالصعيد الذي يصح التيمم به؟



٩/ ٤٦٣

لكن ما المراد بالصعيد؟

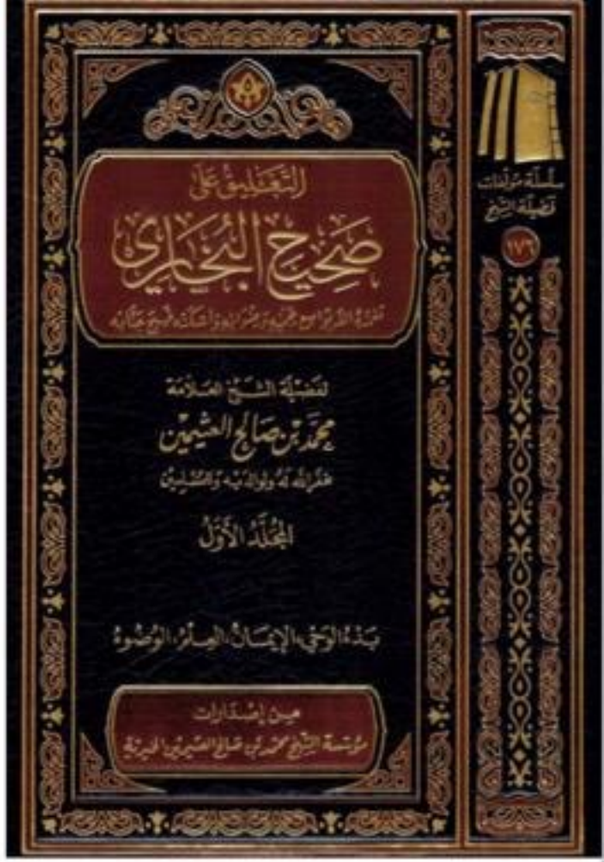
الجواب: المراد: كلُّ ما على وجه الأرض من رمل وحجر وغيره، حتى إن الرسول ﷺ تيمَّم بالجدار، كما ثبت ذلك عنه[1]، وعلى هذا فما كان من الأرض فإنه يصحُّ التيمُّم به، ولا يُشْتَرَط فيه الغبار.

واختلف العلماء: هل يصح التيمُّم على الفراش، وعلى الثياب، ونحوها؟ فقال
= بعضهم: إذا كان فيها غبار صحَّ التيمُّم عليها، وقال آخرون: لا يصحَّ، بل لابُدّ أن يتيمَّم على الأرض، وهذا ليس من الأرض، نعم، إن دعت الضرورة إلى ذلك بحيث لا يكون حوله أرض، وحوله فُرُش فيها غبار، فلا حرج؛ لأنه إذا لم يكن فيها غبار فليس فيها شيء من الأرض.

وظهور الدواب مثل الفرش، ليست من الأرض، فإن احتاج الإنسان إليها وصار فيها غبار فلا حرج أن يتيمَّم عليها.

معنى قوله ﷺ:

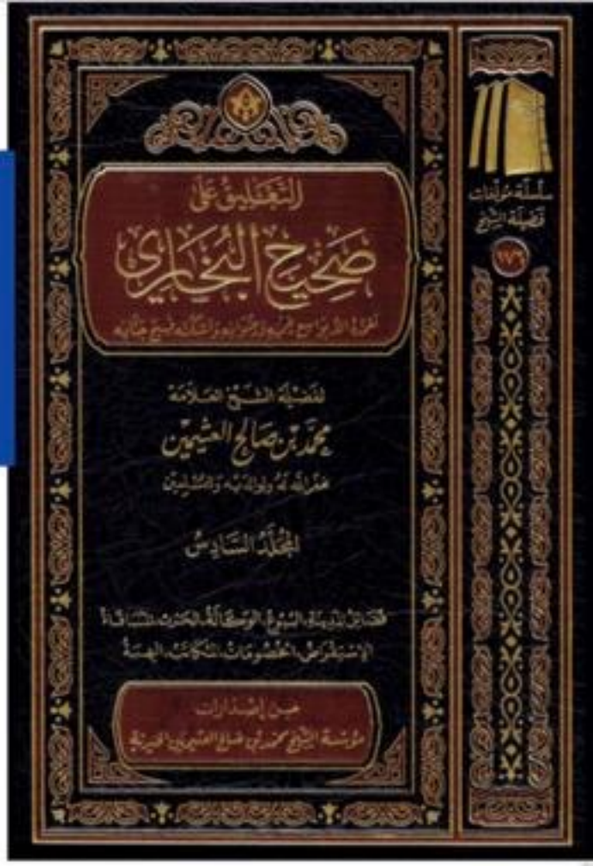
"وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ"



٩/ ٥٧٤

[٢] قوله: «وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ»، إنما كان عَزَّوَجَلَّ يحبُّ أن يُمْدَح ويُحْمَد ويُثْنَى عليه؛ لأنه أهل لذلك، ولأنه من منفعة العبد، والله تعالى لا يضرُّه معصية العاصي، ولا يضرُّه عدم حمده، ولكن من مصلحة العباد كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفرح أن يُمْدَح؛ ليُثيب عليه، وكذلك كان يفرح بالتوبة؛ من أجل أن يتوب على العبد.

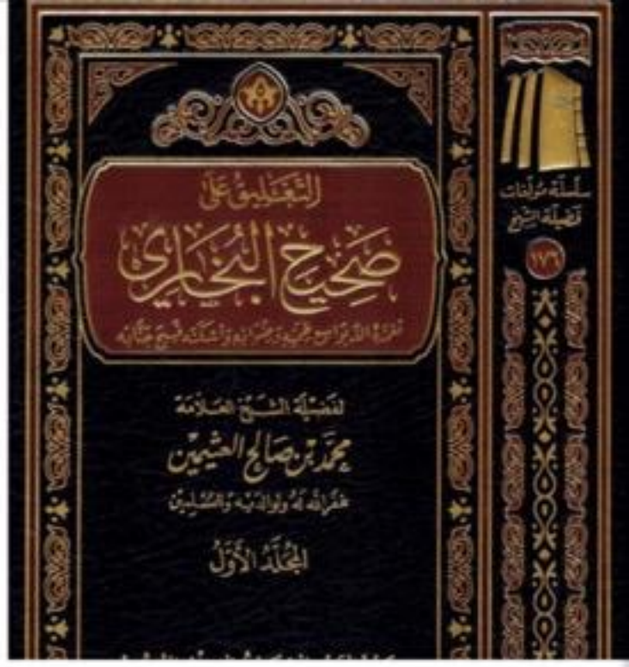
حكم الكلام في مسائل العلم بمجرد الظن



٥٧٨ /٩

ثم إن الإنسان إذا تكلَّم في مسائل العلم لكن ليس عن علم، وإنما عن مُجَرَّد ظن فقط، فهذا لا يجوز، إلا أن الدروس العلمية إن كان عنده مَن يُصحِّح الخطأ فلا بأس، كما لو ألقى المُدرِّس على التلاميذ شيئًا، وقال: هذا ما أظنُّ، بل لو قال بشيء لا يدري عنه إطلاقًا فلا شيء في هذا ما دام عنده مَن يُصحِّح؛ ولهذا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لمَّا ألقى عليهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السؤال: أن شجرةً من الشجر مَثَلها مثل المؤمن، كلٌّ أتى بشجرة[1]، وقطعًا ليس عن علم؛ لأن العلم المُؤَكَّد هي أنها النخلة.

مسائل في تلقين الميت



٩/ ٦٩١

فإن قال قائل: وهل يُلَقَّن الميت بأن يُقال له: قل: لا إله إلا الله؟

فالجواب: إذا كنَّا نخشى أن يكون لضيق صدره يردُّ هـذا، ويقـول: لا أقول: لا إله إلا الله، فإننا لا نأمره، وإنما نذكر الله عنده لعلَّه يتذكَّر، فيذكر الله.

وقال بعض مشائخنا: إنه لا يُؤْمَر أبدًا على كلِّ حال، وإنما يُذْكَر الله عنده، وأجابوا عن حديث أبي طالب بأن أبا طالب كافر، فلو قال: «لا» فهو على ما هو عليه، بمعنى: أن أَمْرَنا لا يضرُّه بخلاف المسلم.

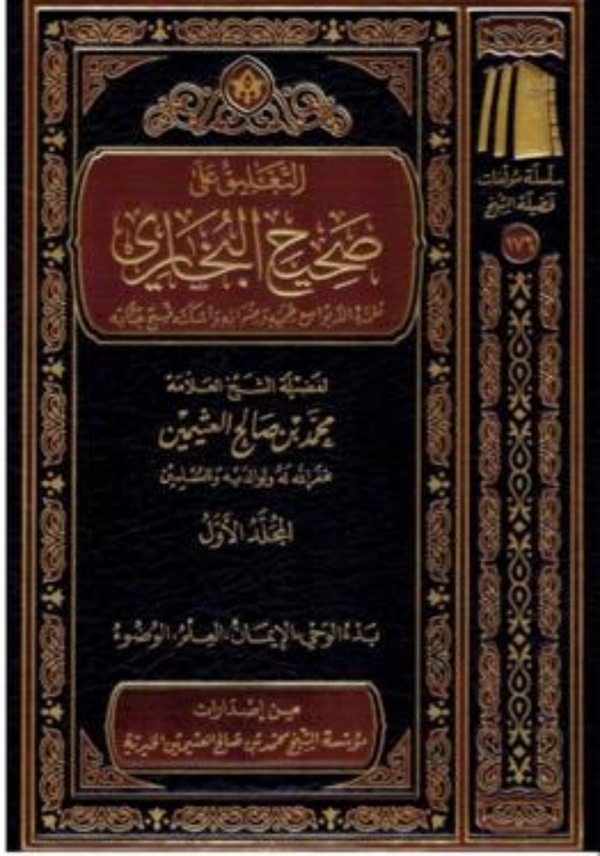
ولكن الأول أصح؛ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ»[1]، والتلقين: أن يُقال له: قل كذا، وأيضًا فنقول: أبو طالب كافر، لكن يُطْلَب منه أن يُؤْمِن.

فإن قال قائل: هل يُلَقَّن الكافر إذا حضره الموت؟

قلنا: أمَّا ظاهر قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» أن الأمر ليس مجزومًا به؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء:١٨]، فإذا غَرْغَر بروحه فلا يُمكن أن تُقْبَل منه توبته، أمَّا إذا كان لم يُغَرْغِر، لكن عرفنا أنه في سياق الموت، فإنه تُقْبَل توبته.

حكم تخدير الجاني في القصاص

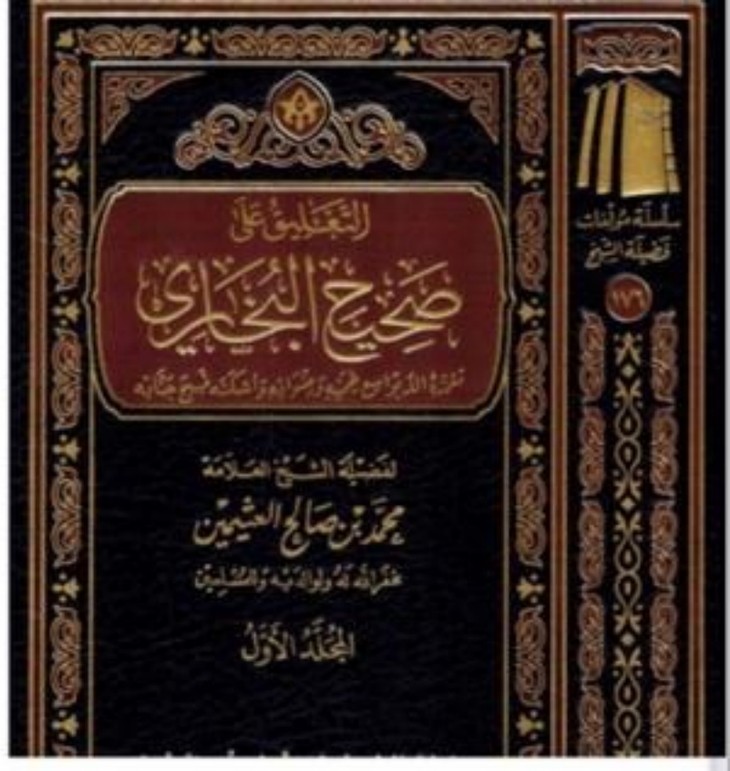
٩/ ٤٨٤



وهل يجوز تخدير الجاني في القصاص؟

الجواب: لا، لكن هذا يجوز فيما إذا كان حدًّا، كقطع اليد في السرقة، أمَّا في مسألة الجناية فلا؛ لأننا لو خدَّرناه ما اقتصصنا؛ لأن الجاني لا يُحسُّ بالألم، لكن بعدما نقتصُّ منه يجب علينا أن نمنع نزيف الدم.

حكم ذبائح النصارى مع كون غالبهم اليوم لا يدينون بشيء ٩/ ٥٠٠

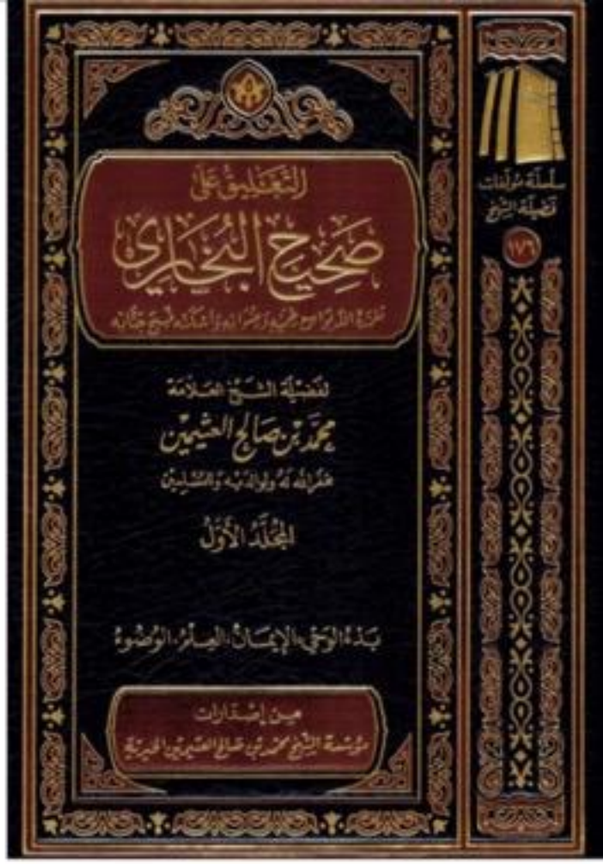


فإن قال قائل: وهل تحل ذبائح النصارى الآن مع أن الغالب أنهم لا يدينون بشيء؟

فالجواب: ما داموا نصارى فإننا نأكل ذبائحهم، والرب عَزَّوَجَلَّ في سورة المائدة قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة:٥]، وفي نفس السورة قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، وهذا صريح في كفرهم، وقال الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، وقال عنهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وقد ذكر بعض أهل العلم من السلف أنه ليس في المائدة آية منسوخة؛ لأنها من آخر ما نزل، فكل ما فيها مُحكَم.

وعلى كل حال أنا أُقَرِّر هذا، وهو الذي أعتقده، لكن إذا كان الإنسان يقول: في هذا شبهة، فإن كانت الشبهة مستندةً إلى أمر حقيقي شرعي فإنه يتركها، أمَّا مُجَرَّد أوهام أو كراهية للنصارى -والله يعلم أننا نكرههم، ونسأل الله أن يهديهم أو يقتلهم- فإن كوننا نُضَيِّق على أنفسنا بشيء قد وسَّعه الله ليس بأحسن. =

هل كل مؤمن يوفّق للتوبة؟

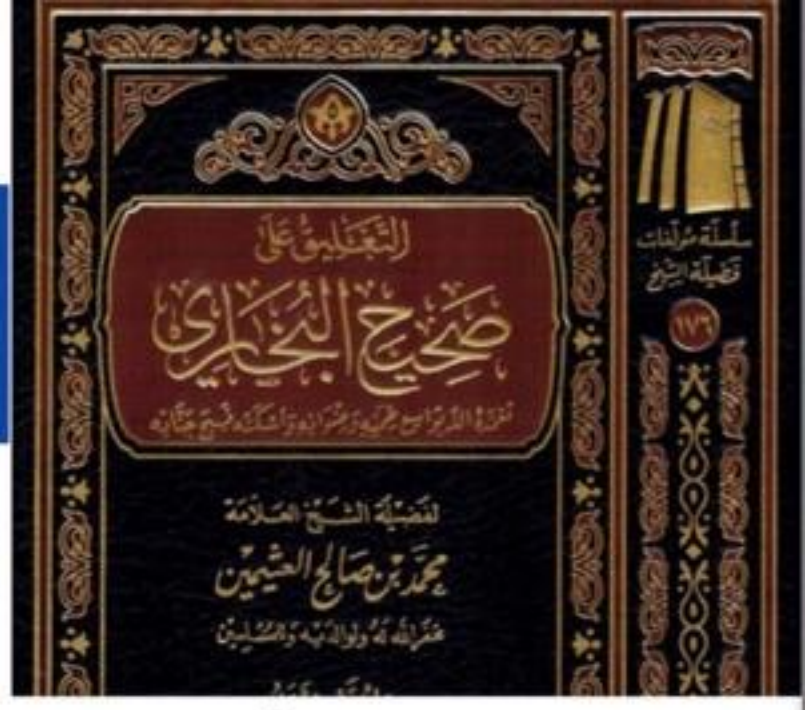


٦٨٦ /٩

فإن قال قائل: هل كل المؤمنون يُوَفَّقون للتوبة؟

فالجواب: لا، ولو كان كل مؤمن لابُدَّ أن يُوَفَّق لكان كلُّ مؤمن يموت على غير معصية، وهذا غير ممكن، لكن من الناس مَن يُوَفَّق للتوبة، ومنهم مَن يُوَفَّق لحسنات تمحو هذه السيئات، ومنهم مَن يُوَفَّق لمصائب تُصيبه، فيُغْفَر له بها، ومنهم مَن يُوَفَّق بدعاء يُدْعَى له، فيغفر الله له، فأسباب المغفرة كثيرة.

إذا تعددت اليمين هل تتعدد الكفارة؟



٩/ ٤٩١

= وهنا مسألة: إذا حلف، ثم حلف، ثم حلف، فهل عليه كفَّارات بعدد الأيمان؟

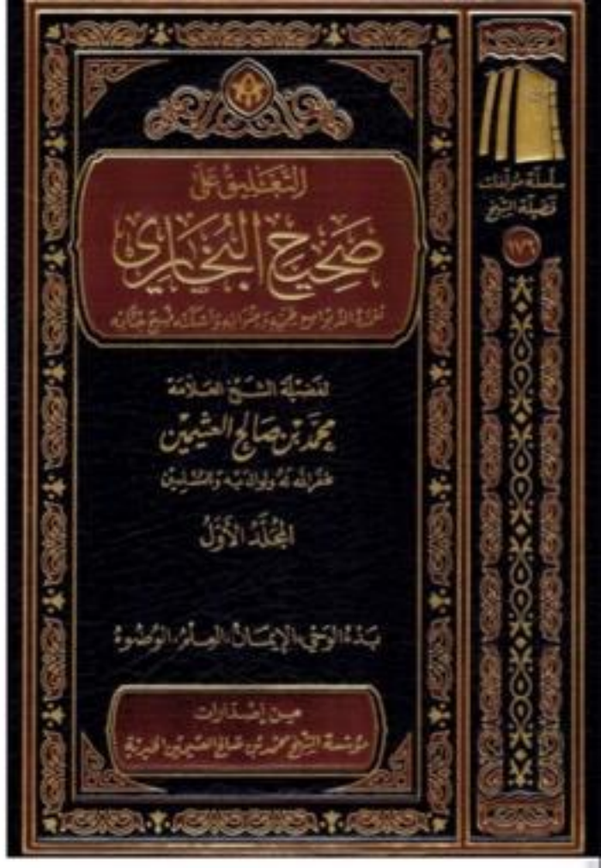
الجواب: إن كان قد كفَّر عن الأول فعليه كفَّارة، وإذا لم يُكَفِّر فهذه المسألة لها صور:

الأولى: إذا قال: «والله لا ألبس هذا الثوب، والله لا ألبس هذا الثوب، والله لا ألبس هذا الثوب»، ولبسه، فهذا عليه كفارة واحدة؛ لأن المحلوف عليه شيء واحد.

الصورة الثانية: إذا تعدَّد المحلوف عليه، فالمشهور من المذهب: أن عليه كفَّارةً واحدةً أيضًا[1]، وعلَّلوا ذلك باتحاد المُوجَب، قالوا: لمَّا اتحد المُوجَب -وهو الكفارة- فإنه يكفي عن الجميع كفارة واحدة، وقالوا: هذا مثل ما لو بال وتغوَّط وحصل منه ريح وأَكَلَ لحم إبل ونام، فهذه خمسة من أسباب الوضوء، وهي أجناس، لكن لمَّا كان المُوجَب واحدًا -وهو الوضوء- أجزأه وضوء واحد، فكذلك لو قال: «والله لا ألبس هذا الثوب، ولا أبيع هذا الكتاب، ولا أدخل هذا البيت، ولا أُكَلِّم هذا الرجل، ولا أنظر هذه النجمة»، وفعل، فإنه يجزئه كفارة واحدة؛ لأن المُوجَب واحد؛ إذ إن كل هذه الكفارات مُوجَبها: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فلما اتحد المُوجَب لم يكن عليه إلا كفارة واحدة.

وأكثر أهل العلم يقولون: إذا كان المحلوف عليه مُتعدِّدًا وليس واحدًا فإنه يلزمه لكل فعل كفارة، فإذا قال: «والله لا ألبس هذا الثوب، واللهِ لا أدخل هـذا البيت، = واللهِ لا أبيع هذا الكتاب، والله لا أُكَلِّم زيدًا، واللهِ لا أشتري هذا الكتاب»، فهنا يلزمه خمس كفارات؛ لأن الفعل مُتعدِّد، وهذا أحوط من جهة، وأبعد عن التلاعب من جهة أخرى؛ لأن الإنسان إذا علم أنه يُجزئه كفارة واحدة عن جميع الأيمان رُبَّما يتهاون،

الشعور في بدن الإنسان على ثلاثة أقسام



٤٠٩/٩

نقول: الشعور وردت النصوص فيها على ثلاثة أوجه:

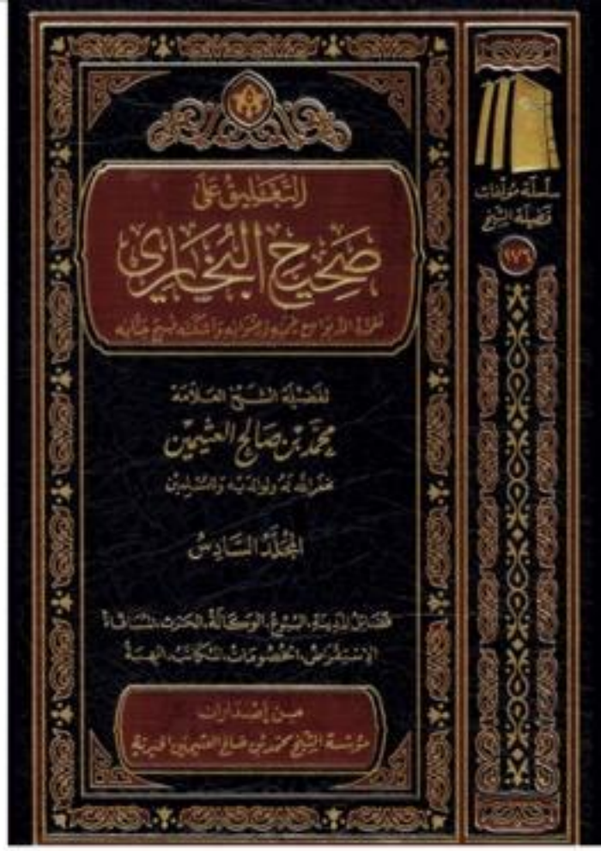
الوجه الأول: شعر أُمِرَ بإزالته، كشعر الإبطين، والعانة، والشارب بالنسبة للرجل إذ أُمِرَ بقصِّه، فهذا أمره ظاهر.

الوجه الثاني: شعر نُهِيَ عن إزالته، كاللحية والنمص، فهذا أمره ظاهر.

الوجه الثالث: شعر سُكِتَ عنه، فهل نقول: إنه على الإباحة؛ لأن ما سكت الله عنه فهو عفو، فإن حرَّمته قلنا: هاتِ الدليل، أو نقول: إنه من تغيير خَلْق الله، فلا تفعل؟

الجواب أن نقول: كوننا لا نُحَرِّكه ولا نحلقه أسلم، إلا إذا وصل إلى حد يُشَوِّه، فهنا لا بأس في إزالة هذا المُشَوِّه.

قلوب المؤمنين تلين إذا وُعِظت



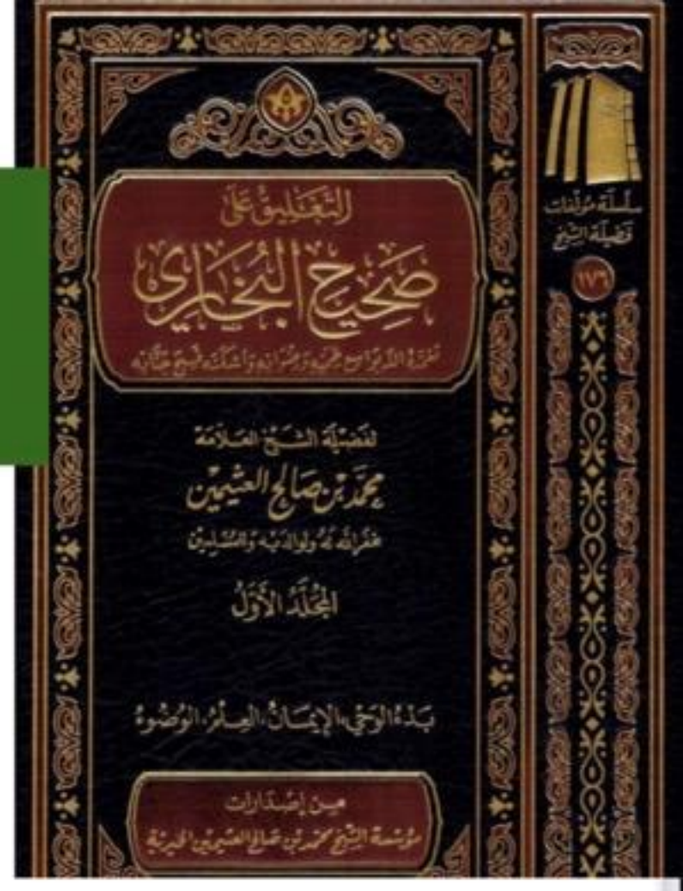
٥١٤ /٩

وفي هذا الحديث: دليل على رقَّة قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لمَّا قال النبي ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، فتأثَّروا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبكوا، وغطَّوا وجوههم من كثرة البكاء، والله أعلم.

وهكذا قلوب المؤمنين تَلِين إذا وُعِظَت، ويظهر عليها الأثر، لكن إذا قسا القلب صار كالحجارة أو أشدَّ قسوةً، ولم يتأثَّر، والعياذ بالله.

ولهذا نقول: إن الإنسان إذا لم يتأثَّر بالموعظة فليعلم أن في قلبه قسوةً، فإذا لان لها عَلِمَ أن في قلبه لينًا ورقَّةً.

سنية صلاة ركعتين بعد القدوم من السفر



٩/ ٦٩٩

[١] قوله: «وَكَانَ يَبْدَأُ بِالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ» هذه السُّنَّة غفل عنها كثير من الناس أو جهلوها: أنك أول ما تَقْدَم من سفر تدخل المسجد، وتُصَلِّي ركعتين، ولو كان في وقت النهي؛ لأنها من ذوات الأسباب.

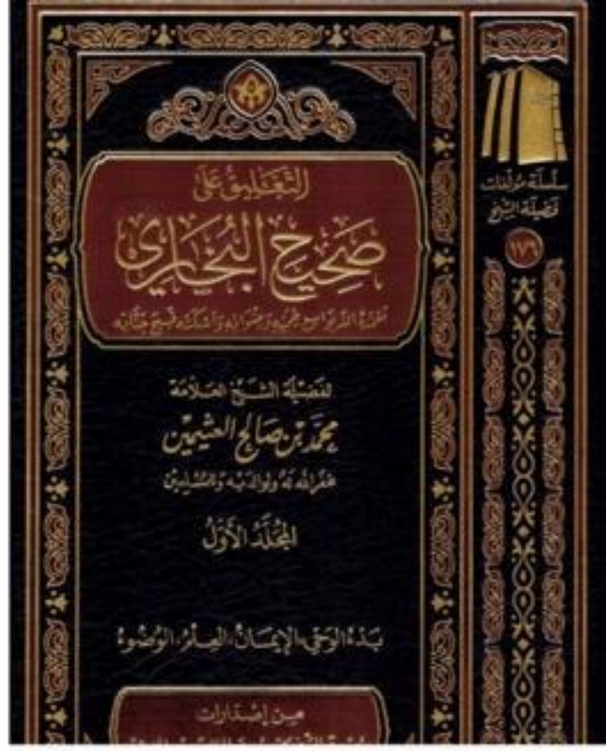
وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يفعلها، وأمر جابرًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بفعلها في قصة بيعه الجمل حين قدم على الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ليُسَلِّمه جمله، فأمره أن يدخل المسجد، ويُصَلِّي فيه ركعتين[1].

ولكن في أيِّ مسجد تُصَلِّي؟

نقول: الظاهر أنك تُصَلِّي في أيِّ مسجد في بلدك التي عدت إليها، سواء في أطرافها، أو في وسطها، وسواء في المسجد الذي هو مسجد حيِّك، أو المساجد الأخرى.

لكن إن حصلت في مسجد حيِّك فهو أحسن وأفضل؛ لأن المدينة فيها مساجد، ولكن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يُصَلِّي إلا في مسجده.

تعجيل العقوبة على العبد في الدنيا



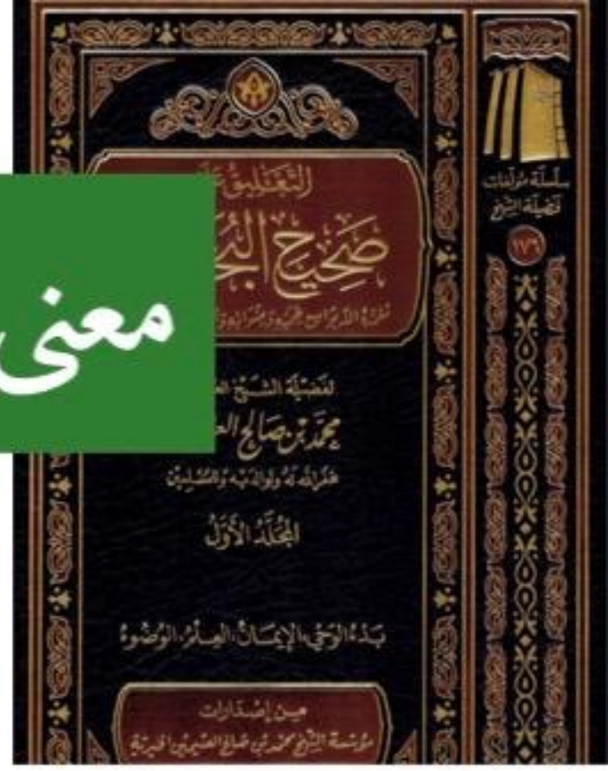
٩/ ٧٠٣

ثم إن الله تعالى قد يُمْلي للظالم، فقد يكون هناك ذنوب عظيمة كثيرة، ولكن يُمْلَى للظالم ويُمْهَل، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨]، فقد يُمْلَى للظالم، ثم يُؤْخَذ أَخْذَةً لا يستطيع الخلاص منها، حتى المسلم يُمْلَى له، والعياذ بالله.

وقد يُمْهَل له بالنعم إذا فسق، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾

= **ومن نعمة الله على العبد:** أن يُعَجِّل الله له العقوبة في الدنيا، لكن أحيانًا لا تُعَجَّل، فترى الناس مُستمرِّين في المعاصي، ولكن النعم تزداد، وهذا استدراج، فكلما وجدت النعم تَتْرا، والمعاصي تكثر، فهو استدراج، سواء في المسلمين أو في الكافرين؛ ولهذا الابتلاء يكون بالشرِّ وبالخير، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

معنى قوله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً.."



٧٠٩/٩

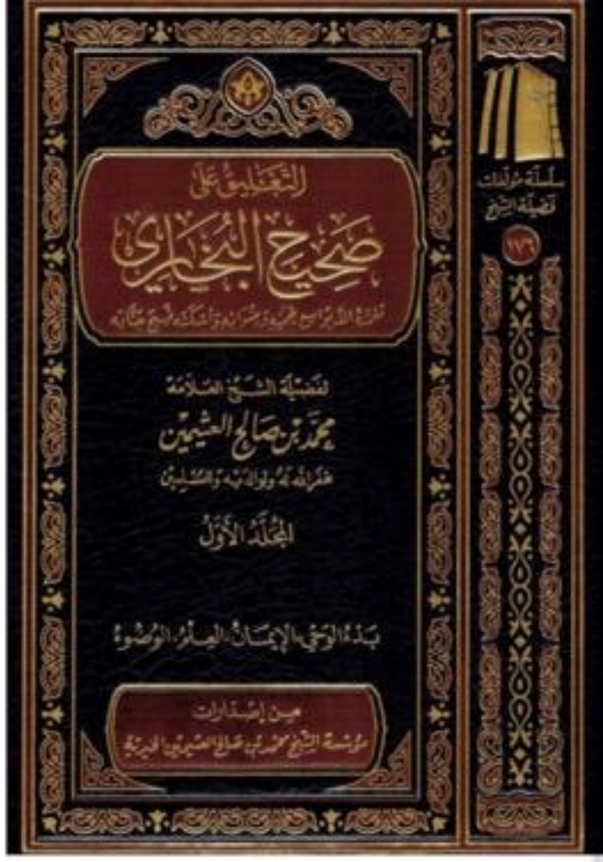
وقد تقدَّم أن معنى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ»[1] أن المراد به أحد أمرين:

الأول: أن يكون أول مَن ابتدأ بها، وعلى هذا يدلُّ سبب الحديث.

الثاني: أن المعنى: أن تكون هذه السُّنَّة زالت، ولم تُحْفَظ، وماتت، فجدَّدها الإنسان، فيكون كأنما سنَّها من جديد.

وهنـاك معنى ثالث أيضًا، وهو أن يُقال: مَن سنَّ في الإسـلام سُنَّةً حسنةً؛ ليحْفَظ بها سُنَّةً ثابتةً، فيكون المراد بذلك: الوسـائل التي تُحْفَظ بها تلك السنن الثابتة.

مثال ذلك: إذا ابتدأت طباعة الكُتُب، أو بناء المدارس للطلبة، أو الحوانيت لهم، فإنها تكون سُنَّةً حسنةً، ويكون هذا سَبْقًا ما دام لم يفعله أحد من قبل.



التحذير من الركون إلى الدنيا

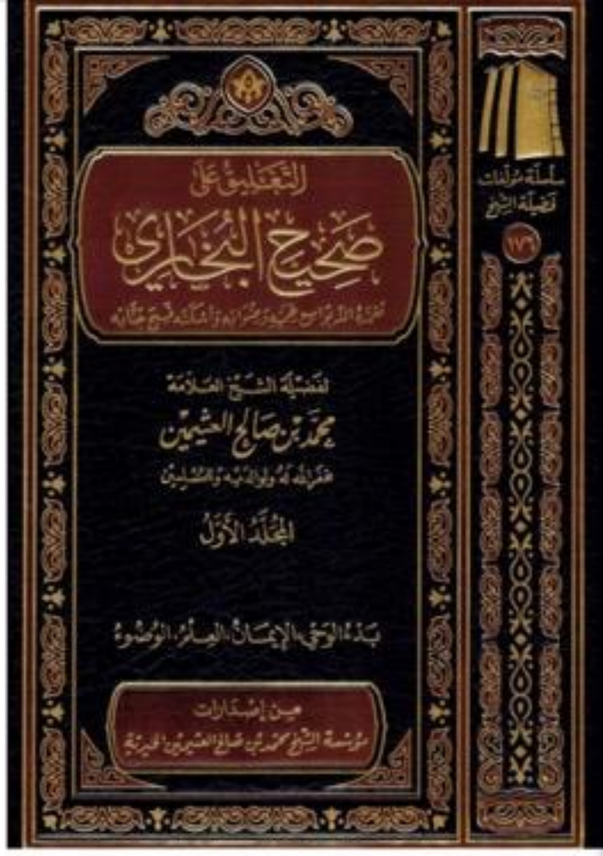
٩/ ٩١٢

والغرض من هذا: التحذير من الركون إلى الدنيا، والاغـترار بها، وبيانُ أن الإنسان مهما عَلَت به الدنيا فإن مآله إلى الزوال والاضمحلال، واسأل التاريخ عن الأمم السابقة، كم فيها من أُناس بلغوا الذِّرْوة في زهْرَة الدنيا، ولكنهم هَلَكوا كأن لم يكونوا شيئًا! كما قال بعض الشعراء:

بَيْنَا يُرَى الإِنْسَـانُ فِيهَـا مُخْـبِرًا حَتَّى يُرَى خَبَرًا مِنَ الأَخْبَارِ[1]

فكان في الأول مُخْبِرًا يتكلَّم، ويقول: حصل كذا، وحصل كذا، وحَيِيَ فلانٌ، ومات فلانٌ، ثم يكون هو بعد ذلك خبرًا، يُقال: كان فلانٌ وزال، وكما أن الإنسان يكون فيزول فهو أيضًا كان بعد العَدَم ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١] فالإنسان قبل الولادة ليس شيئًا مذكورًا، وسيأوي إلى العدم.

العاقل لا ينظر إلى إتراف البدن



٧٨٩ /٩

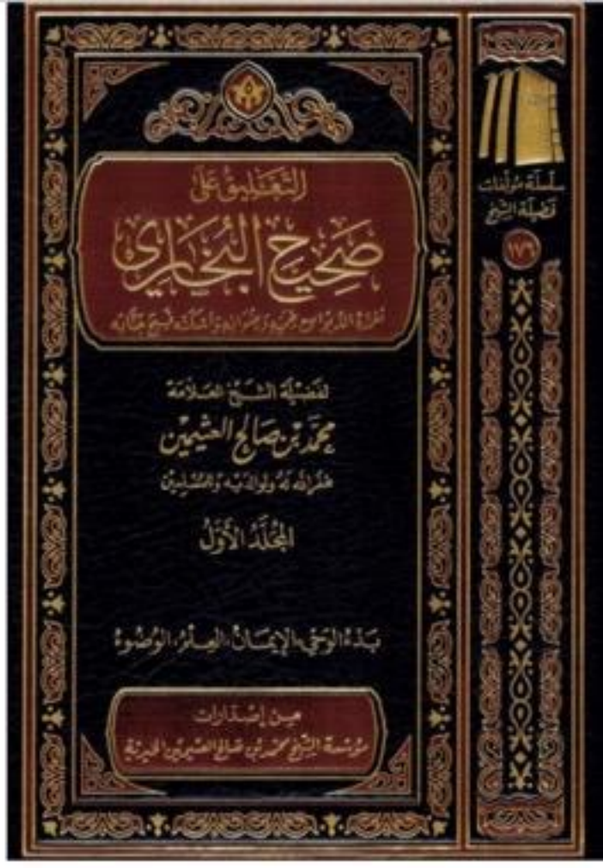
وفي هذا: إشارةٌ إلى التحذير من التَّرَفِ، وأنه سببٌ لوقوع الإنسان في الظلم؛ لقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ والغالب أن المُتْرَفين هم التالِفُون، كما قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة:٤٥].

والعاقلُ لا ينظر إلى إتراف البدن، وإنما ينظر إلى إتراف القلب وإخصابه بالعلم والإيمان، أمَّا إتراف البدن فما هو إلا وسيلة لتقويم هذا البدن؛ ليقوم بما خُلِقَ له؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسان أن يَجْعَلَ المال بمنزلة الحمار الذي يركبه، أو بمنزلة بيت الخلاء الذي يقضي فيه حاجتَهُ[٢].

ولكن أكثر الناس اليوم صار الأمر عندهم بالعكس، فجعلوا المال هو رأس المال، وجعلوا ما خُلِقُوا من أجله من العبادة أمرًا ثانويًّا إلا مَنْ شاء الله.

يرفع الله أهل العلم والإيمان

٩/ ٧٣٥



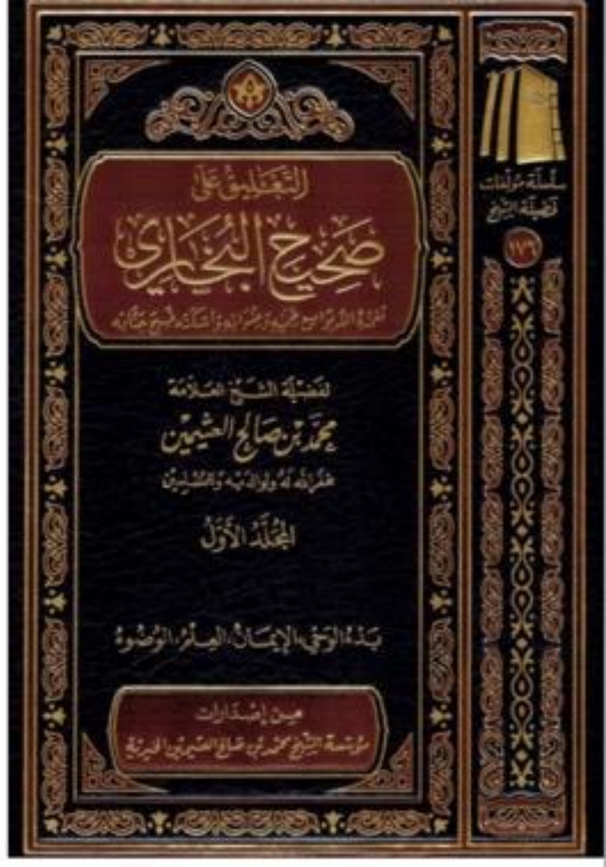
لكن مَن المستحقُّون للرفع؟

الجواب: أهلُ العلم والإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وأمَّا أهل الجهل والكُفْر فهم على العكس.

وهل هذا يشمل الرفع بالعلم والإيمان، وبالمال، وبالجاه، وبالحَسَب، أو لا؟

الجواب: نعم، يشمل كلَّ شيء، فكل ما يُعَدُّ رفعًا أو نزولًا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يُدَبِّره، ويُعْطِي أقوامًا، ويمنع أقوامًا؛ لِمَا تقتضيه حكمتُهُ تعالى.

متى توزن الحسنات؟



٩/ ٧٤٤

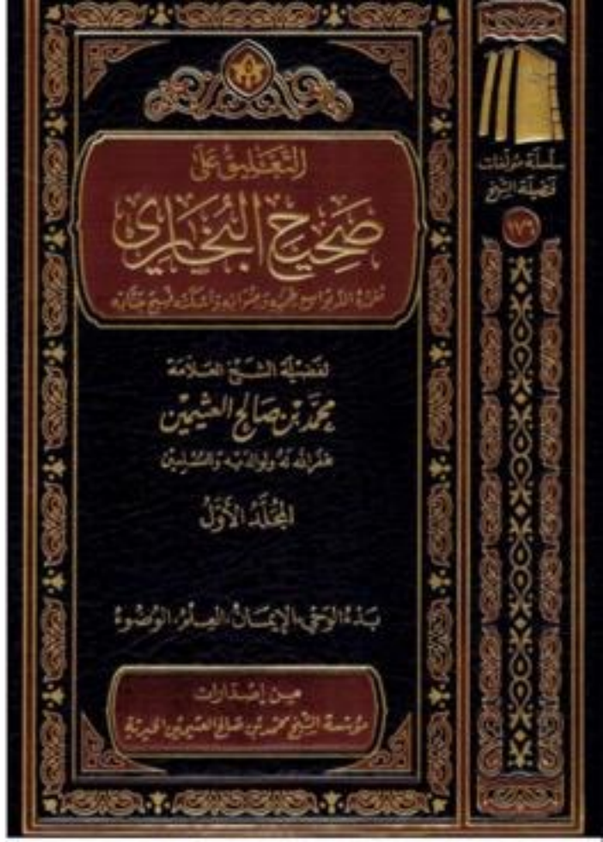
وكذلك لا تُوزَنُ الحسناتُ والسيئاتُ إلا إذا كان الإنسان سيِّئاتُهُ أعظمُ من حسناته أو مثلَها، أمَّا الذي حسناتُهُ أكثرُ فقد عُرِفَ أن حسناتِهِ أكثرُ، وقد يُقال: إنها تُوزَن ولو كانت حسناتُهُ أكثرَ؛ لظهور فَضْلِهِ على الأُمَّةِ.

فإن قال قائل: إذن على هذا يكون قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] خاصًّا بالمؤمنين؟

نقول: نعم، للمؤمنين، أمَّا الكُفَّار فإنهم لو عملوا خيرًا فإنه يكون هَباءً منثورًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

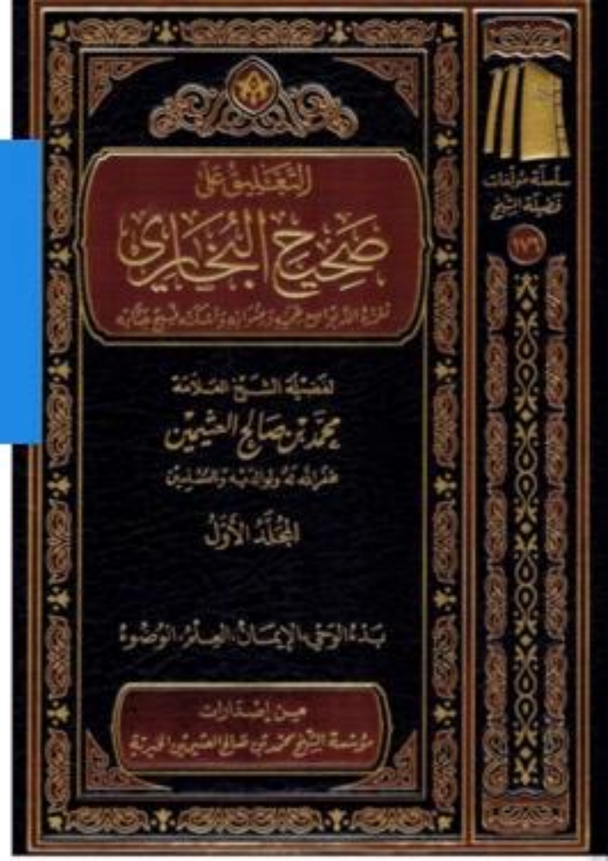
قد تكون الرؤى المكروهة تنبيهًا

٩/ ٧٥٧



واعلم أنه يُمكن أن تكون الرُّؤَى المكروهةُ تنبيهًا، فتُسِرُّ الإنسانَ باعتبار نتائجها؛ لأن الإنسان أحيانًا قد يتلبَّسُ بمعصية، أو بأكْلِ مالٍ لأحد، أو بظلم أحد، ويرى في الرؤيا ما يُنَبِّهُهُ، فهذه لا تكون مَكْرُوهةً في نفسه، بل قد يَحْمَدُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نبَّهَهُ على هذا الأمر بهذه الرُّؤْيَا.

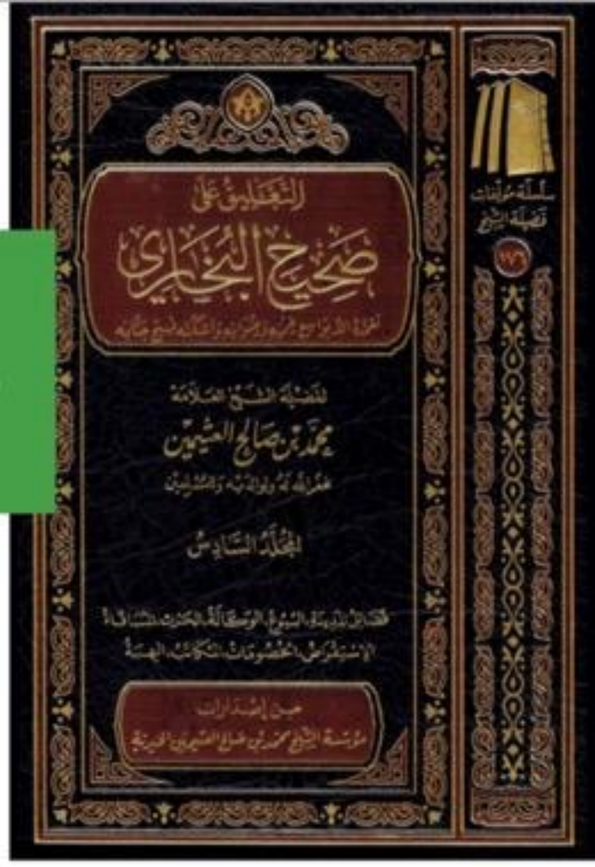
أحد أركان الشكر: التحدث بالنعمة باللسان



٩/ ٨٠٣

وأمَّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] فإنَّ أحد أركان الشكر هو التحدُّث بها باللسان ثناءً على الله بها، واعترافًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالجميل، وليس المراد: التحدُّث افتخارًا، مثل: أن يقول: الحمدُ لله؛ قد كنت فقيرًا فأغناني الله! كنتُ جاهلًا فعلَّمني الله! كنت أعْزَبَ فزوَّجني الله! وما أشبه ذلك.

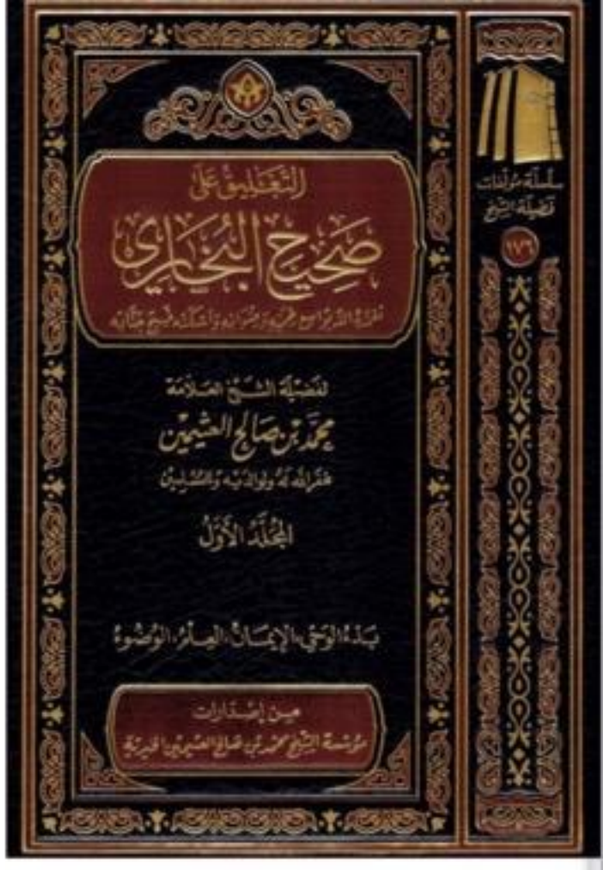
من رحمة الله بعبده أنه يصيبه بالمصائب أحيانًا



٩/ ٨٠٤

وإذا ذَكَر الإنسانُ نعمةَ الله عليه بمثل هذه المصائب أو الهمِّ أو الغمِّ أو ما أشبه ذلك يَحْمَدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ لأن كونَهُ تمضي عليه الأيام الكثيرة أو الدهور الطويلةُ ما أُصيب بشيءٍ يتذكَّر به النِّعمةَ هذا قد يُؤَدِّي إلى قسْوَةِ القلب، لكن إذا مرَّ عليه أشياءُ ثم انجلت تلك الأشياء إلى نِعَمٍ وزالتْ عَرَفَ بذلك نعمةَ الله، كأنه دخَـل من بابٍ واسعٍ بعد أَسْوِقَةٍ ضيِّقةٍ، فيجد لذَّةً وسرورًا بالنِّعَم الحادثة المتجدِّدة، بخلاف ما لو كان دائمًا في نِعَم، فإنه ينْسَى ويقْسُو قلبُهُ، وهذا من حِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ ومن رحمته بعبده: أنه يُصيبه بالمصائب أحيانًا؛ ليتذكَّر النعمةَ، ويَعْرِفَ قدْرَها.

القرآن عظيم من هذه النواحي الخمس

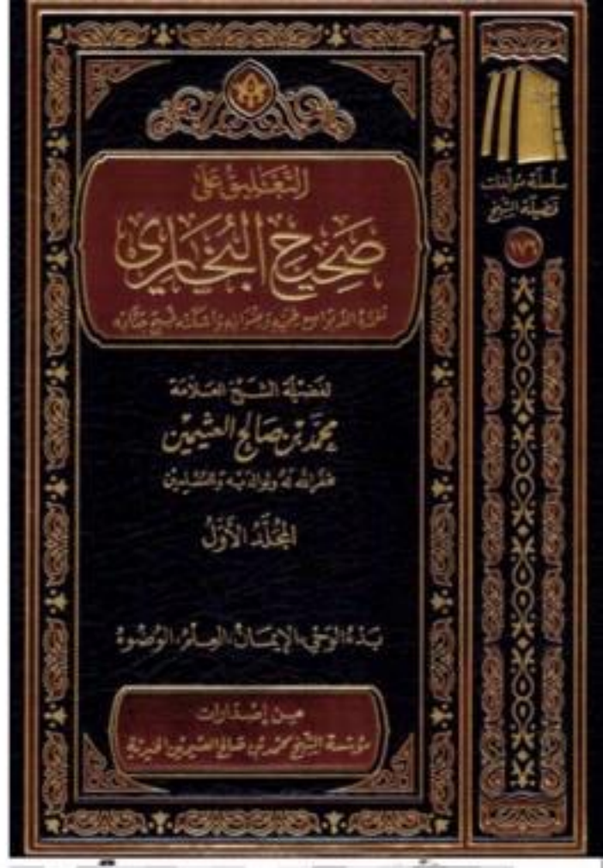


٩/ ٨٢٦

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ دليلٌ على عظمة هذا القرآن، وهذا يشمل عظمتَهُ في اللفظ، وعظمتَهُ في المعنى، وعظمتَهُ في المنهاج والسلوك، أي: في أحكامه وأخباره، وعظمتَهُ في آثاره التي بَقِيَتْ؛ لأنه فُتِحَت به مشارقُ الأرض ومغاربُها، وعظمتَهُ في التأثير، إذا سَمِعَهُ الإنسانُ فلابُدَّ أن يتأثَّر به، كما حصل ذلك لطائفة من الكفَّار والمشركين في عهد النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالقرآنُ عظيمٌ من هذه النواحي الخمس، ولا شيءَ أعظمُ من القرآن، وهو أعظمُ الكُتُب المُنَزَّلة على الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ ووَصَفَه في آيةٍ أُخْرى بأنه قرآنٌ مجيدٌ، وفي أُخرى بأنه قرآنٌ كريمٌ، وكلُّ هذا يدلُّ على عظمتِهِ، وأنه خيرٌ للأُمَّة.

التعوذ بالله تعالى من أرذل العمر



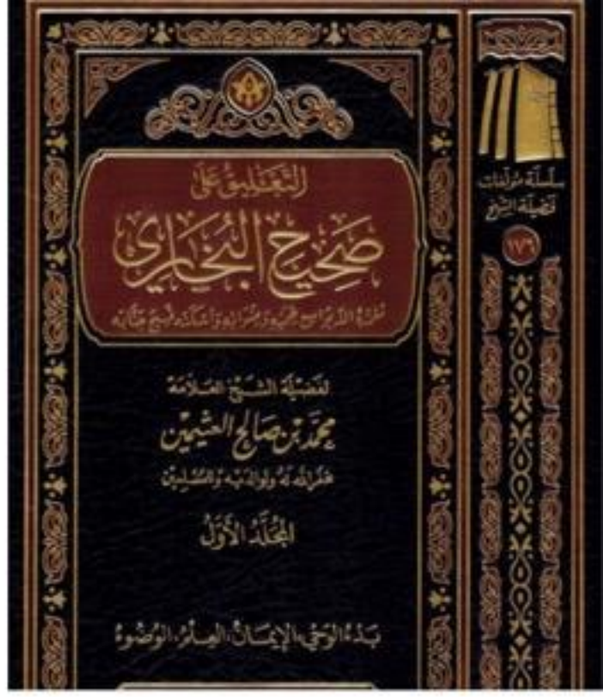
٨٤٩ /٩

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَالكَسَلِ، وَأَرْذَلِ العُمُرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ»[١].

---

[١] الشاهد من هذا: قوله: «وَأَرْذَلِ العُمُرِ» أي: أنقصه وأردئه، وذلك أن الإنسان إذا كَبِرَ وصل إلى حدٍّ يرجع به إلى سن الصِّبا والطفولة، بل هو أشدُّ؛ لأنه نقصٌ لا يُرْجَى كمالُهُ، بخلاف نقص الطفولة، فإنه يُرْجَى كمالُهُ؛ ولهذا فالذي يُرَدُّ إلى أرذل العُمُر عند الكِبَر يكون على أهله أشدَّ، ويُحرجهم أكثرَ، بخلاف الطفل الصغير؛ لأنهم يرجون منه كمال هذا النقص وزوالَه.

طالب العلم يومه كله عبادة



٩/ ٩١٦

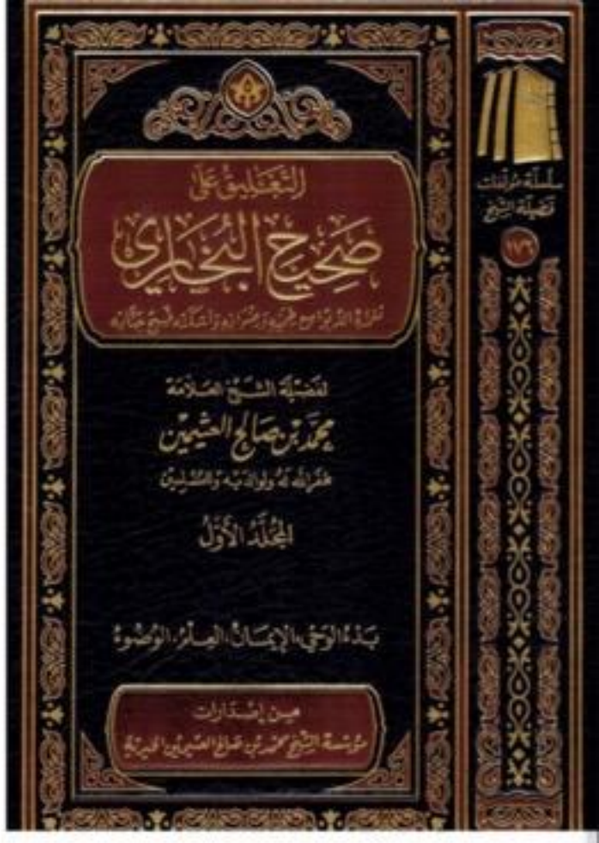
والحقيقة أن طالب العلم من حين ما يقوم من الليل إلى أن يرجع إلى فراشه إذا كان طالب عِلْمٍ حقًّا فإنه في عبادةٍ وفي جهاد؛ إذ إنه بين استماع إلى العلم، أو كتابة له، أو مُذاكرةٍ له، أو بَحْثٍ فيه، وكلُّ هذا من الجهاد في سبيل الله، فلا تظنَّ -أيُّها الطالب- أنه يغلبك الذين يَعْكُفون في المساجد، أو الذين يصومون النهار، أو يقومون الليل، بل أنت أفضلُ منهم بلا شَكٍّ؛ ولهذا قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تذاكر ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها[٢].

فإن قال قائل: أيهما أفضل: طلب العلم أم الخروجُ في الدعوة إلى الله؟

فالجواب: أنا لا أرى دعوةً إلى دِين الله إلا بعد تعلُّم دِين الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] والذي يدعو بدون بصيرة رُبَّما يَهْدِمُ من الدِّين أشياء لا يعرف عنها شيئًا، فلابُدَّ أن يكون لديْهِ عِلْمٌ يستطيع به أن يَدْعُوَ الناس، والعلم يكون بحسب ما تقتضيه الدَّعْوة، فيتعلَّم من العلم ما تقتضيه الدَّعْوة وتستلزِمُهُ.

معنى قوله تعالى:

(قُلْ هَلْ نُنبِئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا)

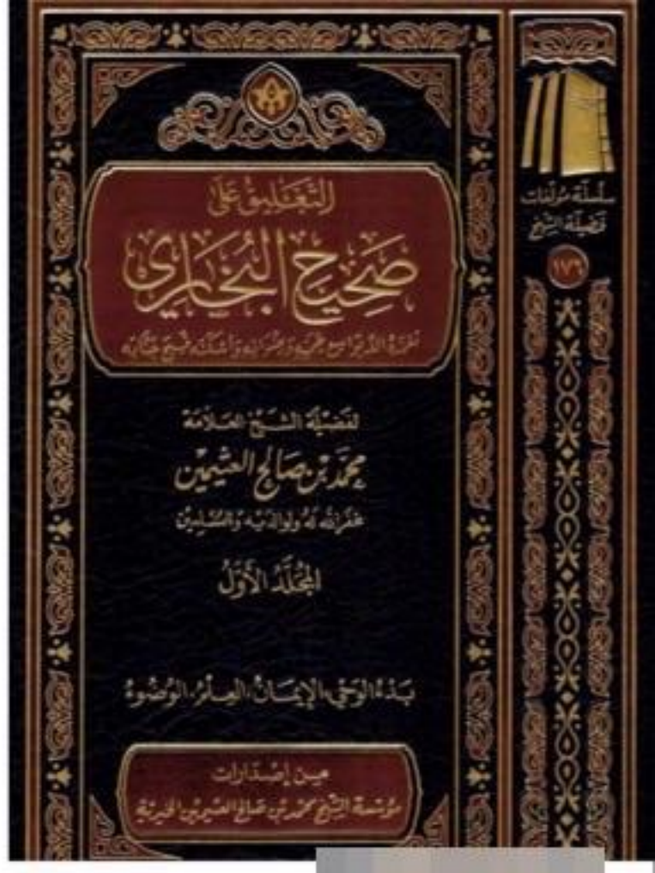


٩/ ٩٣٩

[١] هذا في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالاخسرين اعمالا﴾ وجاء الله عَزَّوَجَلَّ بها على سبيل الاستفهام للانتباه، والجـوابُ: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وصَدَقَ الله عَزَّوَجَلَّ! فإن الذين ضلَّ سعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحْسِنون صُنْعًا سوف يجتهدون في هذه الأعمال، ويُثابرون عليها، ويتمسَّكون بها، يرون أنها إحسانٌ، ولكنها في الحقيقة إساءةٌ وضررٌ.

وأول مَن يدخـل في ذلك أصحاب البِدع والأهْـواء، سواء كـان ذلك في الاعتقادات، أو كان ذلك في الأذكار، أو في أنواع العبادات، فإن هـؤلاء لو سألتهم لقالوا: إننا نُريد الإحسان، ولا نُريد الإساءة، فيتمسَّكون، ولا يزالون يبقون على ما هم عليه، فهؤلاء هم الذين ضلَّ سعْيُهم في الحياة الدنيا.

ينبغي للإنسان أن يدعو مَنْ ينتفع بهم



١٠/١٠

بيرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[١].

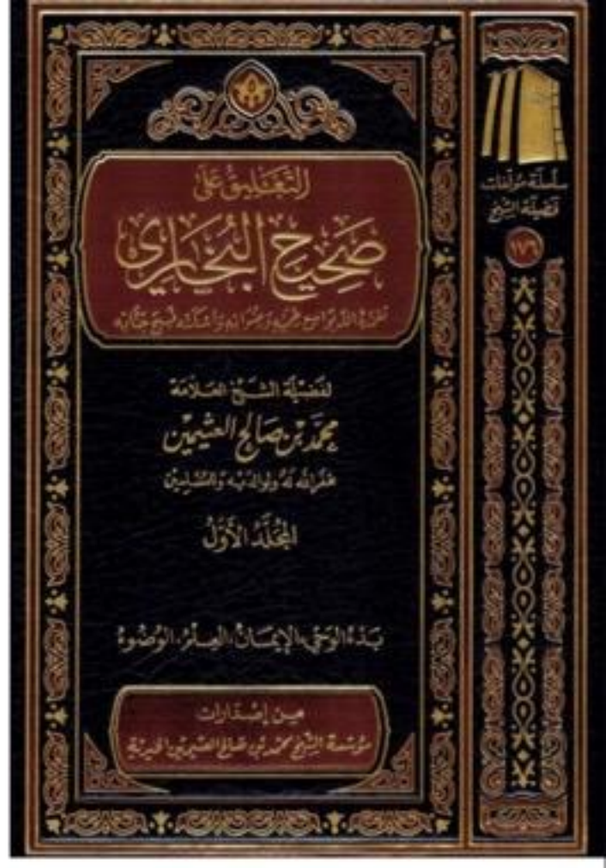
---

[١] هذا الحديث يُبَيِّن سببَ نزول الآية.

وفيه: دليلٌ على اشتياق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لزيارة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه يودُّ أن يزوره دائمًا؛ لأن في زيارته خيرًا وبركةً، ولكن جبريل وغيره لا يُمكن أن يفعل شيئًا إلا بأمْرِ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ يعني: من السماء ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ إلا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: مستقبلنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي: ما وراءنا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

ورُبَّما يُؤْخَذ من هذا الحديث: أنه ينبغي للإنسان أن يدْعُوَ مَنْ ينتفع بهم، وكان السلف من هديهم أن أحدهم إذا لاقى أخاه يقول: اجلس بنا نُؤمن ساعةً، فيجلسون ويتذاكرون؛ ليزداد إيمانُهم.

أيهما أسلم للإنسان العزلة أم الخلطة؟



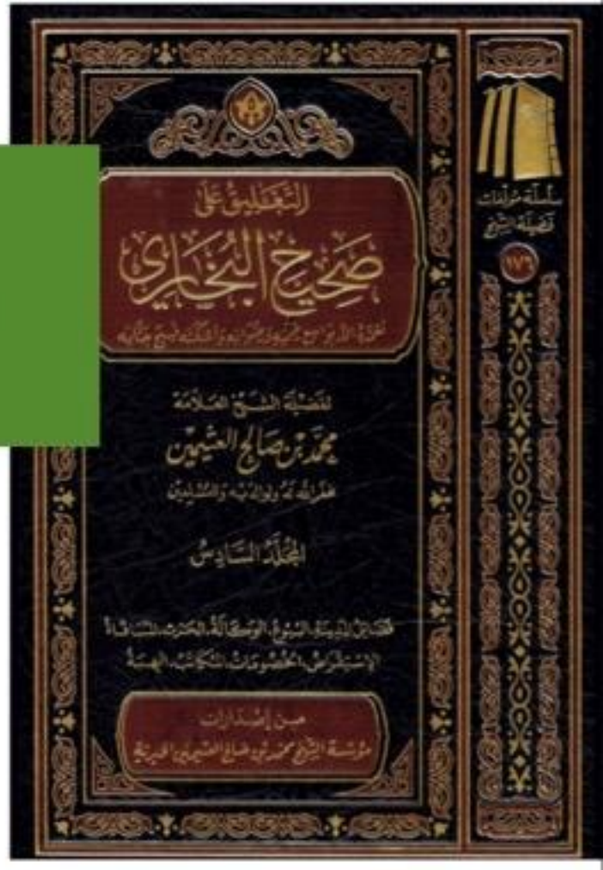
٢٤/١٠

فإن قال قائل: وأيهما أسلم: العُزْلَة أم الخُلْطَة؟

نقول: قد يكون في العُزْلَة خطأٌ؛ حيث يترك الإنسان ما يجب عليه من إرشاد الناس، وأمْرِهِم بالمعروف ونهْيِهِم عن المنكر، وقد يكون في الخُلطة مصلحةٌ عظيمةٌ، كإرشاد الناس.

نعم، إذا فَسَدَ الزمانُ، ولم يتمكَّن الإنسان من نفع الناس، ولا من الانتفاع منهم فقد يُقال: إن العُزْلة خيرٌ وأفضل، لكن بشرط: ألَّا تُؤَدِّي هذه العُزْلة إلى ترك واجب الجماعة أو الجُمُعة أو ما أشبه ذلك ممَّا يجب فيه الاجتماع مع الناس.

لفظ (الأمة) في القرآن يطلق على عدة معانٍ



١٠/ ٤٧

[١] الأُمَّة هنا بمعنى: الدِّين والملَّة، وهي تُطْلَق في القرآن على عدَّة معانٍ:

الأول: الجماعة، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل:٩٢] وقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣].

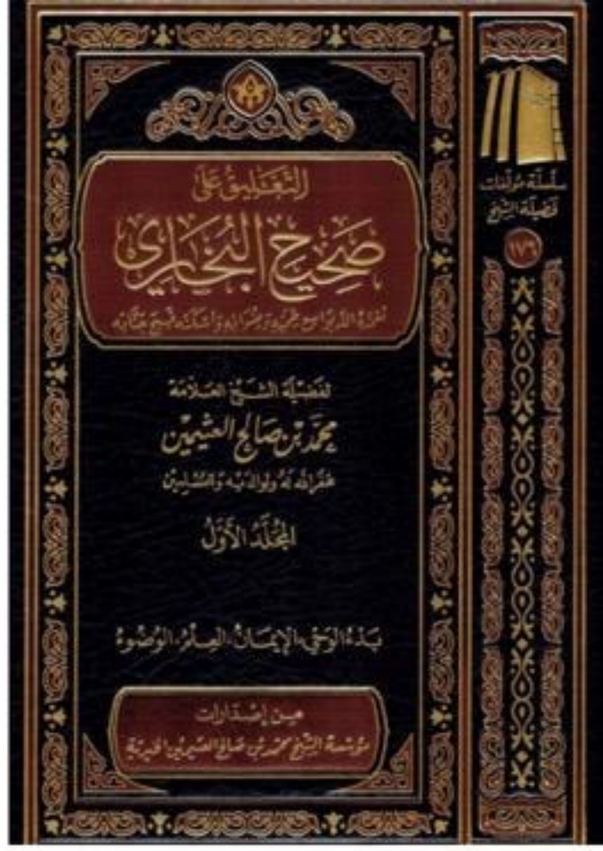
الثاني: الزمن، قال الله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥] أي: بعد زَمَن.

الثالث: الإمام والقدوة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠].

الرابع: الدِّين والملَّة، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] وقوله في هذه الآية: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء:٩٢].

للترف عواقب وخيمة

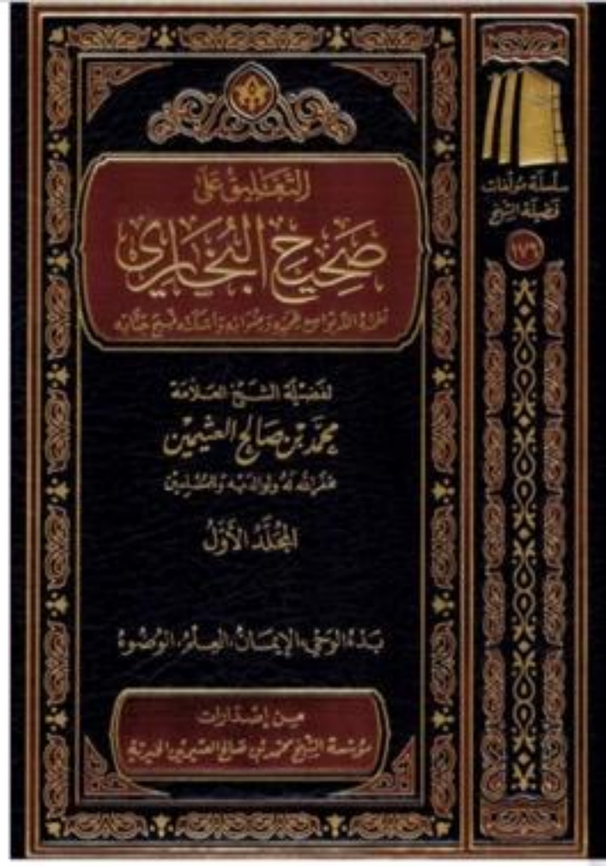
١٠/ ٨٧



= هذا مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] يتبيَّن لك أن للتَّرَف عواقبَ وخيمةً، وأن غالب الانحراف إنما يأتي من التَّرَف، وأن الذي ينبغي للإنسان أن يتباعد عن التَّرَف ما أمكنَهُ، ولستُ أقولُ: لا تتمتَّعوا بنِعَم الله، بل تمتَّعوا بها، لكن لا تجعلوها أكْبَرَ همِّكم، بحيث يجعل الإنسانُ نفسه كالمخلوق لهذا الأمْرِ، كما هي حالُ كثيرٍ من الناس اليـوم؛ فإن الناس اليوم عندما يتحدَّثون تجده يتحدَّث عن المال وكثرته، وعن التَّرَف والإرفاه والترفيه، والمنتزهاتُ، والألعاب التي أقلُّ ما فيها أن تُلهـي الناس عمَّا هو أنفـعُ منها، ورُبَّما تُلهيهم عن الأمـور الواجبة، وما أشبه ذلك، لكن لا تجد إلا النادرَ مَن يتحدَّثُ بنعمة الإسلام في بلادنا هذه.

والقلبُ إذا انشغل باللهو فَسَدَ وصُدَّ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وعن الإقبال عليه، وصُدَّ عن ذِكْرِ الله عَزَّوَجَلَّ.

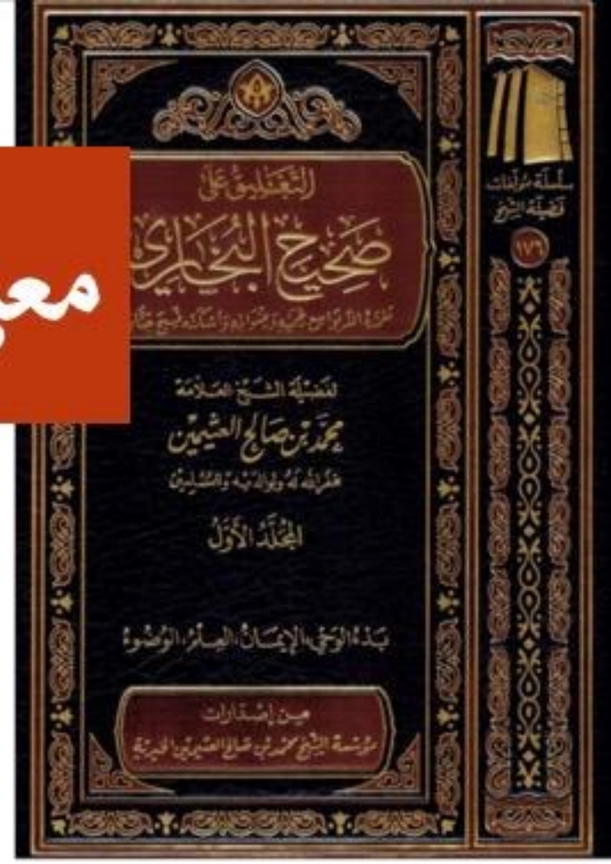
العفَّة من أسباب نور القلب



١٠/ ٩١

[١] سورة النور سُمِّيت بهذا الاسم؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وإذا تأمَّلت السورةَ ووجدت ذِكْرَ النور فيها، وأن الله نورُ السموات والأرض، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ تبيَّن لك أن العِفَّةَ من أسباب نُور القَلْب، وأن ضدَّها -وهو الفجورُ- من أسباب ظُلْمَة القَلْبِ؛ ولذلك كان تأثير الزِّنى -سواء كان بالعين، أو بالرِّجل، أو باليد، أو باللسان، أو بالفرج- على القلب وعلى نُور القلب أعظمَ من غيْرِهِ، وتأثيرُ العفَّةِ في نور القَلْب أبلغَ؛ ولهذا سُمِّيت هذه السورةُ بهذا الاسم.

معنى قوله تعالى: "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ"

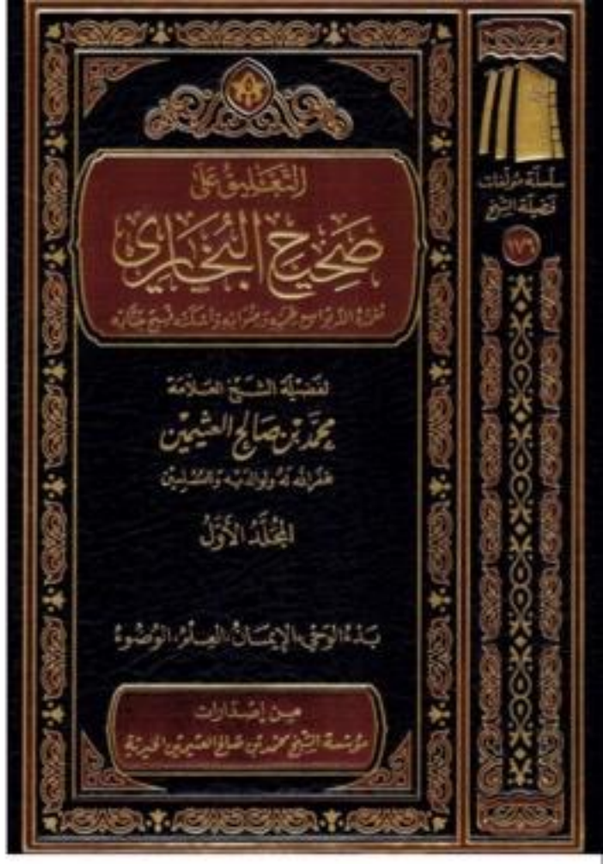


٨٩ /١٠

[٢] السَّمَر هـو السهر في الليل، وهـذا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ أي: تهجرون القرآن، وتُعرضون عنه، ولا تلتفتون إليه، لكنكم تُقْبِلون على لذائذكم.

ولو أنك طبَّقت هـذه الحال على حال كثـير من الناس اليوم لوجَدْتَ الأمـرَ كذلك، فإنهم يسهرون على ما لا فائدة فيه، بل على ما فيه مضرَّةٌ، وأمَّا القرآن فهم عنه مُعرضون.

وجوب الإذعان لحكم الله ورسوله

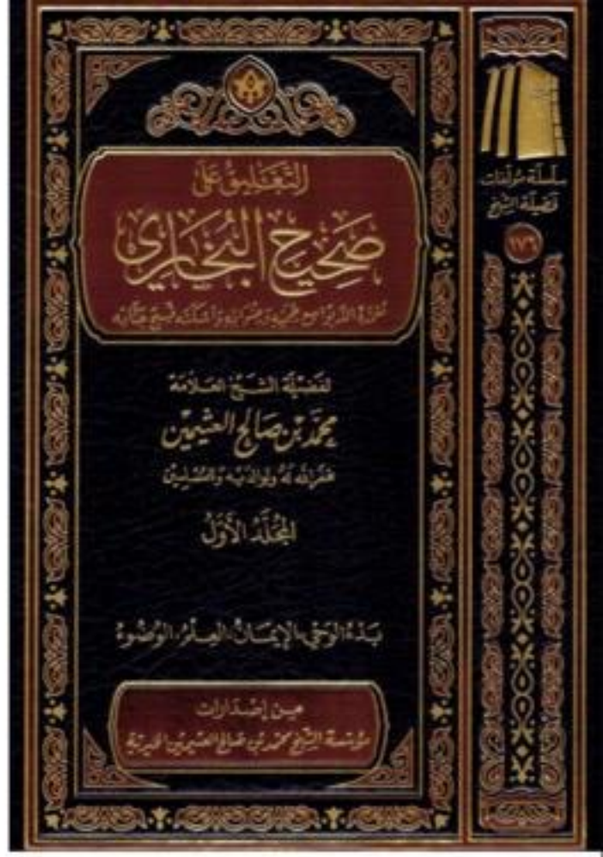


٩٦/١٠

والحاصل: أن الواجب على الإنسان أن يُذْعِن لحكم الله ورسوله، سواء كان له أو عليه، ولا يخشى في الله لومةَ لائمٍ، وأن يقول الناس: ما هذا الرجل؟! كُلَّ يوم يخرج لنا بدليل جديد، اتركوه، ليس عنده علم! لأنهم إذا قالوا هكذا فما يضرُّه أبدًا، فإن كان الله قد جعل لك القبول فلو اجتمع مَن بأقطارها ما صدُّوا هذا القبول، وإن كان الله لم يجعل لك قبولًا لو تكون من أحرص الناس على عدم التزَحْزُح عن أقوالك فإنه لا ينفعك، ومعلومٌ أن الإنسان إذا اتَّقى الله عَزَّوَجَلَّ وراقبَهُ حتى وصل إلى درجة يُحبُّه الله فإنه ينال خيرًا كثيرًا، ويُدافع اللهُ عنه.

لن يدوم ترف المترفين

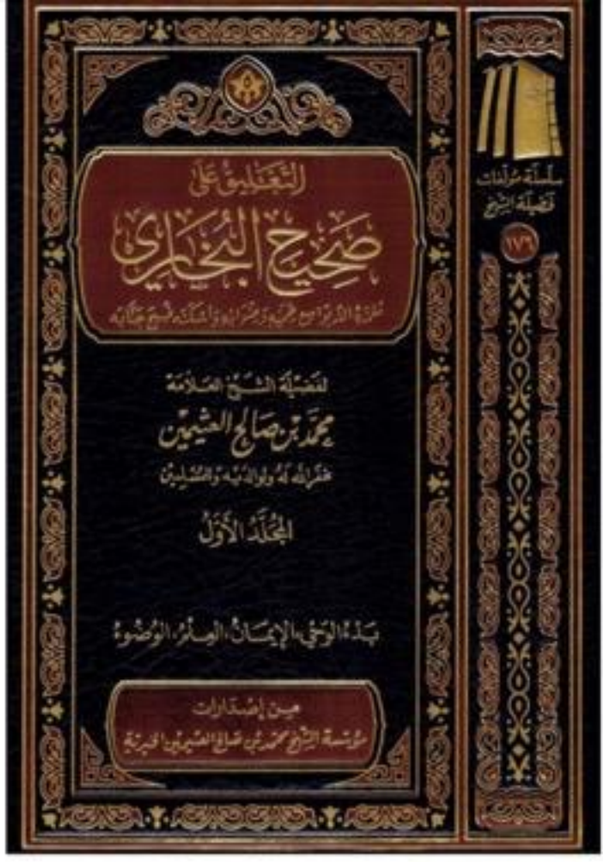
٨٨/١٠



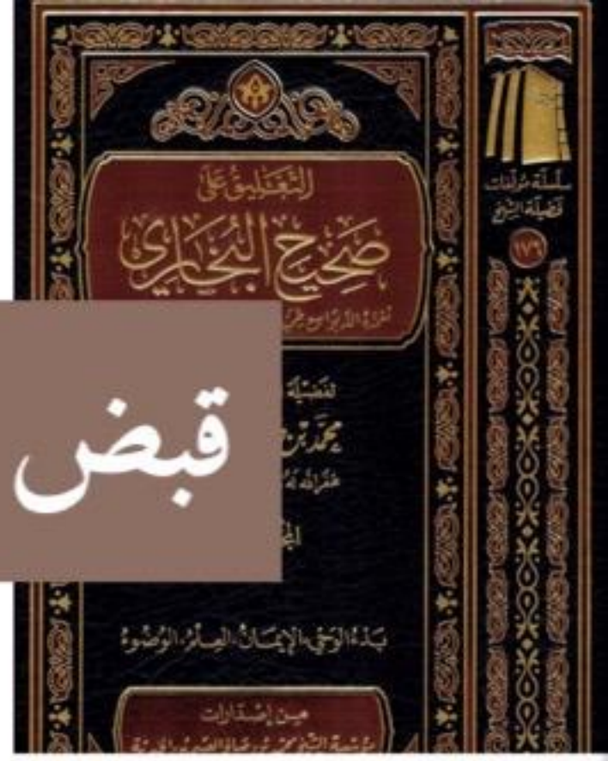
ويدلُّك على هذا أنك لا تجد أحدًا يبْقَى في هذا التَّرَف، بل لابُدَّ من أحد أمرين: إمَّا أن يتلف هو أو يتلف تَرَفُهُ، ورُبَّما يُحْرَمُ هذه النِّعمةَ، بحيث يُشاهدها رأيَ العيْنِ، ولا يستطيعُ أن يستمتع بها، بأن يُصاب بأمراض، فيُقال له: لا يُمْكِنُ أن تتناول هذا النوع من الطعام، وهذا النوع من الطعام، حتى يُصْبِحَ لا يعيشُ إلا على الماء وكِسْرَة خُبْز.

للنار صوت عظيم

٥٠/١٠



ويُشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: صوْتها وهي تلتهب وتأكُلُ الناسَ، كرأس الشاة إذا وضعْنَاه في النار نسمع له حسيسًا وصوتًا، فهؤلاء الذين سبَقَت لهم الحسنى لا يسمعون حسِيسَها، وهـذا يدلُّ على أن الله تعالى حجبَهُ عنهم مع تباعد ما بين الجنة والنار؛ لأن هذه في أسفل السافلين، وهذه في أعلى علِّيين، وإلا فلا شَكَّ أن النار لها صوتٌ عظيمٌ، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٠] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٦] لكن الذين سبَقَت لهم الحُسْنى لا يسمعونها، نسأل اللهَ أن يجعَلَنا منهم.



قبض ملك الموت للأرواح المتباعدة في لحظة واحدة

٥٦/١٠

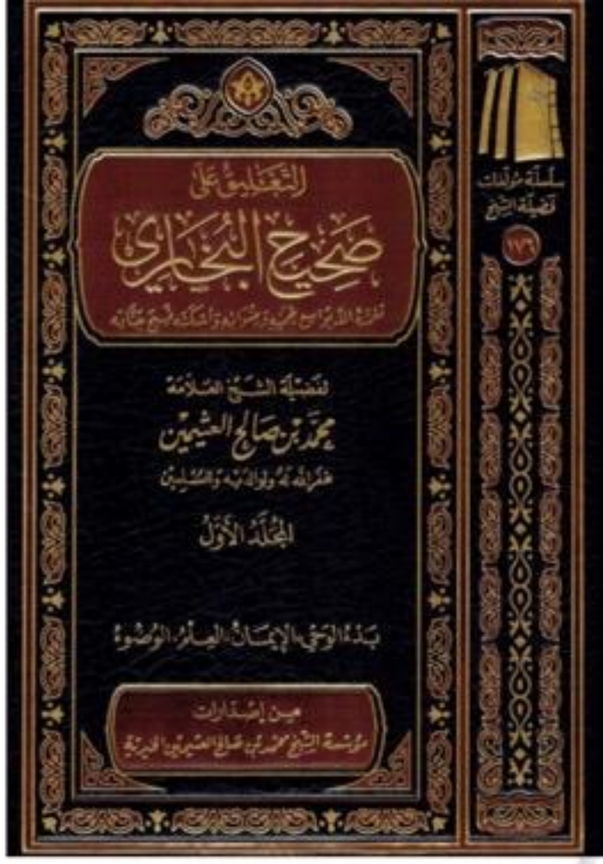
الناس يقولون: إذا كان مَلَك الموت يَقْبِضُ الأرواحَ، ونشاهد ملايين يموتون في لحظة واحدة في أثناء الحروب في أماكن متباعدة، فكيف يقبضها؟

والجواب أن نقول: الله أعلم، نحن نُؤْمِنُ بأنه يَقْبِضُ الأرواحَ، أمَّا أن نسأل: كيف يَقْبِضُ؟ فهذا ليس إلينا؛ لأنه أمرٌ غيبيٌّ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحرصُ منَّا على العلم، ولَمَّا نزلت الآية في ذلك لم يسألوا الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد شبَّه بعضُ السلف هذه المسألة بطشت -أو بطَسْت- من طعام فيه أنواعٌ من الأطعمة بين يدي إنسانٍ يأْكُلُ، فيستطيع أن يأخذ من عدَّة أنواع بيد واحدةٍ، فقال: إن الأرض كلَّها أمام مَلَكِ الموت مثل الطَّسْت أمام الآكِل[1].

ولكن هـذا على سبيل التقريب، والأمـرُ أعظمُ من ذلك، وإذا كان جـبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ له ستُّ مئة جَناحٍ قد سدَّ الأُفُق فإنَّنا لا نستطيع أن نعرف كيف مَلَكُ الموت كِبَرُهُ وقُدْرَتُهُ؟

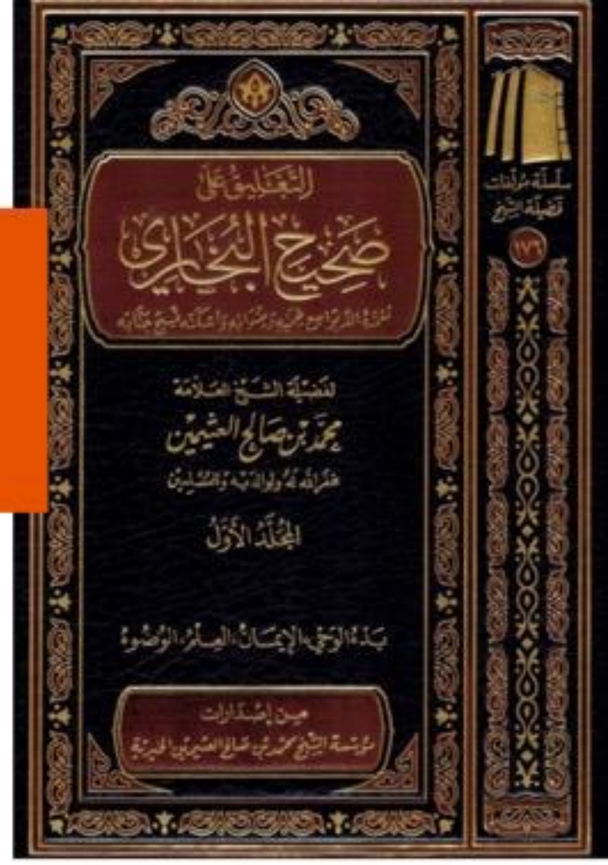
من هو التائب حقًا؟



١٠/ ١٨٧

ثم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ يعني: أن هذا هو التائب حقًّا أن يتوب ويعمل صالحًا، أمَّا إذا تاب ولم يقم بالعمل الصالح فإن توبتَهُ تكون قاصرةً، وتكون من هذا الذنب فقط، ولا يستحِقُّ الوصفَ المُطْلَق للتائبين، وقد سَبَقَ بحثُ هذا، وهو: هل يُشْتَرط لصحة التوبة أن يُقلع الإنسانُ عن كل الذنوب، أو أنه تصحُّ التوبةُ من ذنبٍ مع الإصرار على غيره؟ وذكرنا أن الصواب الثاني، وإن كان الأول قيلَ به[1].

لكنْ مع ذلك فإنَّ هذا التائب لا يستحقُّ الوصف المُطْلَق في التائبين، وإنما يُقال: تائبٌ من كذا، تائبٌ من كذا، أمَّا الوصف المُطْلَق فهو كما قال الله عَزَّوَجَلَّ هنا: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: هذا هو التوبةُ الحقيقيَّةُ: أن تتوبَ من الذُّنوب، وتعملَ العملَ الصالحَ.



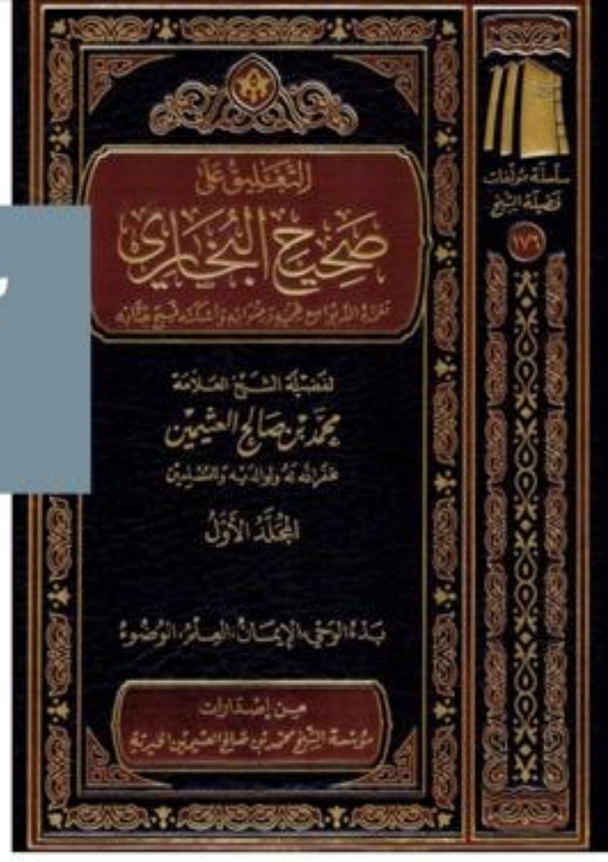
ينبغي أن يكون سير قلب العبد لربه كالطائر

١٠/ ٣٥٠

وقال بعض العلماء: ينبغي أن تسير إلى الله تعالى كالطائر يفرش جناحيه، إن خَفَضَ أحد الجناحين هوى إليه، فكُنْ سائرًا كأنك طائر بين الجناحين، لا خوف يزيد على الرجاء، ولا رجاء يزيد على الخوف.

وقال بعض العلماء: ينبغي للمريض أن يُغَلِّب جانبَ الرجاء؛ ليموت وهو يُحسن الظنَّ بالله عَزَّوَجَلَّ، وينبغي للصحيح أن يُغلب جانب الخوف؛ حتى يرتدعَ عن المعصية.

وقال بعض العلماء: بل إذا منَّ الله عليك بالطاعة فغَلِّب جانبَ الرجاء أن يقبلها اللهُ تعالى منك، فإن الله عند ظنِّ عبده به، وإن هَمَمْتَ بمعصية فغَلِّب جانبَ الخوف؛ لأنك إن غلَّبت جانبَ الرجاء وأنت هامٌّ بالمعصية فعلْتَ، وقلتَ: أفعلُ، ويغفرُ الله لي، لكن إذا غلَّبْتَ جانبَ الخوف امتنعْتَ من المعصية، وهذا تفصيلٌ طيِّبٌ، وهو أن يكون الإنسان يُراعي الحكمةَ في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

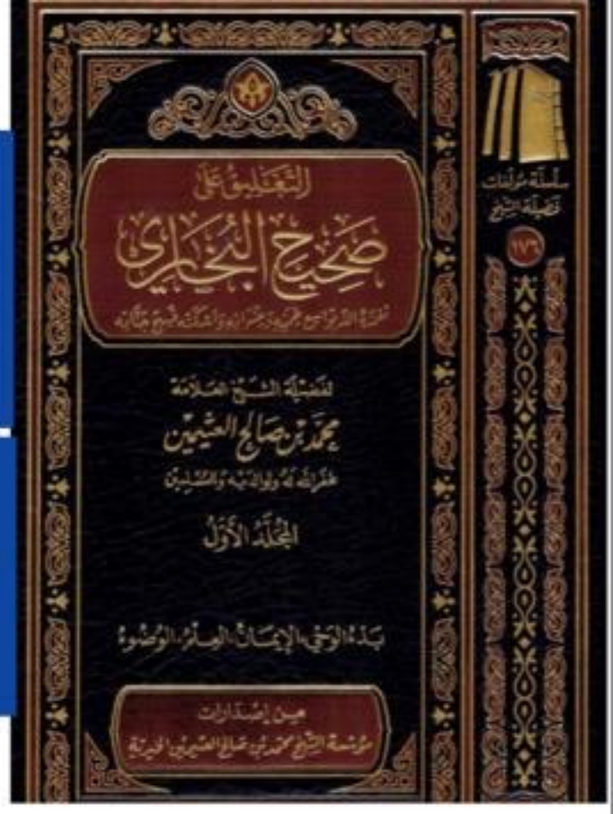


كل إنسان يشمئز من الحق ففيه شبه بالمشركين

١٠/ ٣٢٠

[٢] هـذا في قول الله تعالـى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فهم ينفرون من الحقِّ، ويستبشرون بالباطل، والعياذُ بالله. وكل إنسان يشمئزُّ من الحـقِّ وينفر منه ويكْرَهُه، ويرْضى بالباطل ويفرح به - ففيه شَبَهٌ من هؤلاء المشركين الذين إذا ذُكِـرَ الله وحده اشمأزَّت قلوبُهم، وإذا ذُكِرَ الذين من دونه استبشروا وفرحوا.

ظاهر السنة أن رد السلام على الواحد بلفظ الإفراد (عليك السلام) أولى ١٠/ ٢٧٦



١ - أن الرجل إذا سلَّم على جماعة حقيقةً أو حُكْمًا قال: «السلامُ عليكم» وأنه إذا رُدَّ عليه يُقال: «عليك السلامُ»؛ لأن النبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ**» فقالوا: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ» وهذا دليلٌ على أنه يجوزُ أن تتغايرَ الصيغتان: الردُّ والإجابةُ على حسب المُسَلَّم عليهم.

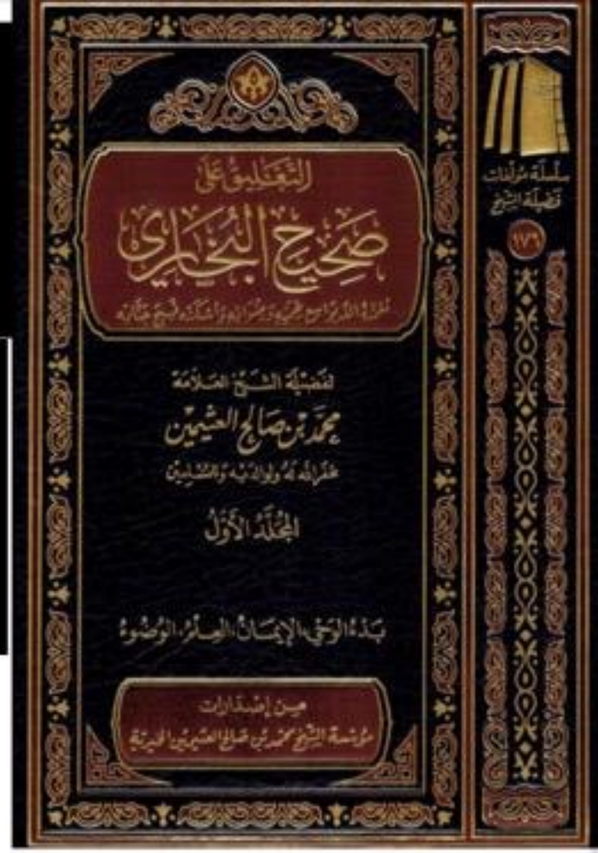
فإن قال قائلٌ: إذا سلَّم على واحدٍ فأيهما أَوْلَى: الإفرادُ أم الجَمْعُ؟

قلنا: ظاهر السُّنَّة أن الإفرادَ أوْلَى؛ لأن المسيءَ في صلاته لَمَّا جاء سلَّم على الرسولِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: السلامُ عليكَ، فقال: «**وَعَلَيْكَ السَّلَامُ**»[1].

الاستغفار للمشركين اعتداءٌ في الدعاء

وينافي كمال الإيمان

١٠/ ٢٢١

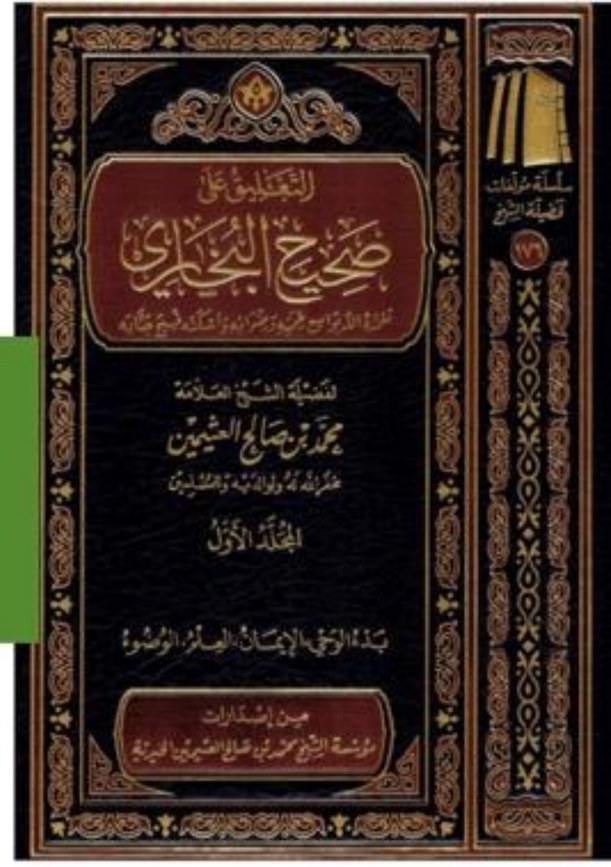


وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ أي: يمتنع غايةَ الامتناعِ، والمراد بالامتناع هنا: الامتناعُ الشرعيُّ، أي: لا يُمْكِنُ لمُؤْمِنٍ حقًّا أن يستغفرَ للمُشْرِكِ أبدًا.

فيُؤْخَذ منه: أن الاستغفارَ للمشركين يُنافي كمالَ الإيمان، وهو مع كونِهِ مُنافيًا لكمال الإيمان اعتداءٌ في الدعـاء؛ لأنه طلب من الله تعالى ما لا يُمْكِـنُ شَرْعًا، ودعاء ما لا يُمْكِنُ شَرْعًا كدُعاءِ ما لا يُمْكِنُ قَدَرًا، وهو اعتداءٌ في الدُّعاء.

(إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا)



٢٨٧ /١٠

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يُثْنُون عليه، ويذكرونه بصفات المحامد والكمالات التي تليقُ به، على أنه عبدٌ ورسولٌ، لا على أنه مُدَبِّرٌ وربٌّ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

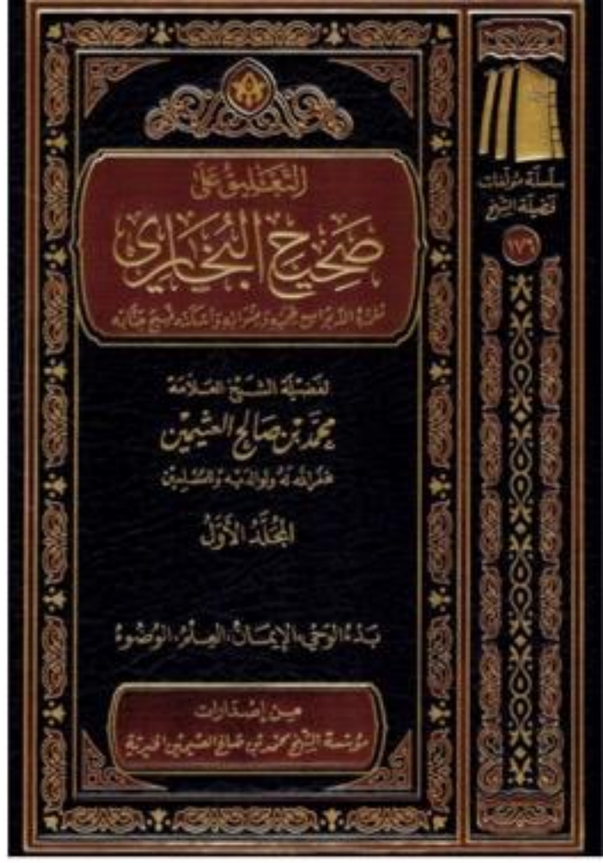
وقوله: ﴿صلوا عليه﴾ اي: قولوا: اللهمّ صل عليه.

وقوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ أكَّد التسليم بالمصدر، أي: سلِّموا تسليمًا كاملًا لا نَقْصَ فيه.

والفَرْقُ بين الصلاة والسلام: أن الصلاةَ دعاءٌ بالخير، والسلامَ دعاءٌ بزوال الشَّرِّ، أي: السلامة من الآفات والنقائص والعيوب.

وقولُ أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ» وكذلك صلاةُ الآدميِّينَ الدعاءُ؛ لأن معنى: «صلَّى فلانٌ على الرسولِ» أي: دعا له بأن يُثْنِيَ عليه في الملأ الأعلى.

شروط التوبة



١٠/ ٣٣٦

وقد سبقَ بيانُ شروط التوبة، وأنها خمسةُ شروط:

الأول: الإخلاصُ لله عَزَّوَجَلَّ.

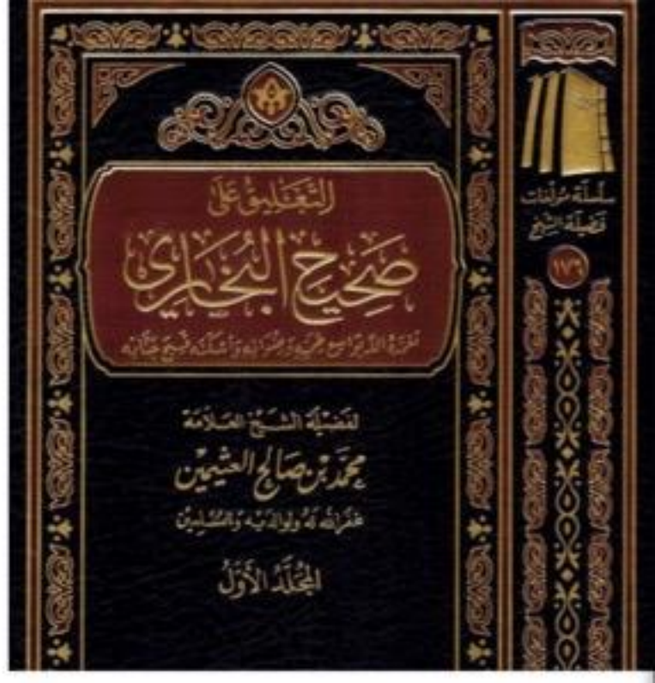
الثاني: الندمُ على المعصية.

الثالث: الإقلاعُ عن المعصية، ومنه: إيصال الحقوق إلى أهلها إذا كانت بينه وبين الآدميِّينَ.

الرابع: العزمُ على ألَّا يعودَ، ولا يُشْتَرَطُ ألَّا يَعُودَ. =

الخامس: أن تكون التوبةُ في الوقت الذي تُقْبَلُ فيه التوبةُ، ووقتها بالنسبة للفرد: قبل حلول أجله، فإذا حلَّ الأجلُ لم تصحَّ التوبةُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾

البشارة العظيمة قبل خروج الروح



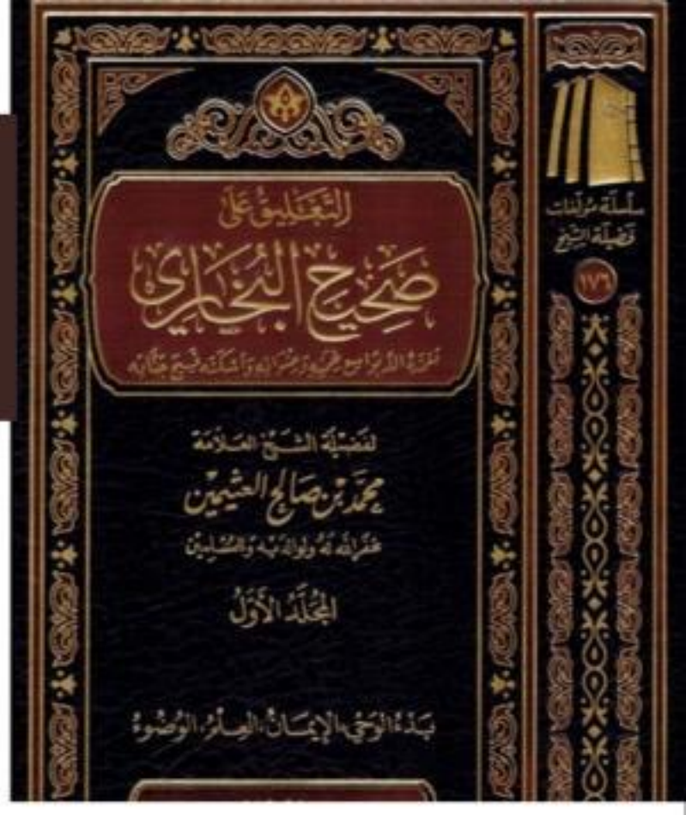
١٠/ ٣٦٤

[١] يعني بذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وهذا هو الإيمان ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ يعني: على العمل الصالح ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: عند الموت، تقول: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي: لا تخافوا المستقبل ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على الماضي ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وما أعظمَ هذه البشارة عند الإنسان وهو في سياق الموت! يُبَشَّر بالجنة التي كان يُوعَد، والتي صدَّق بها، وعَمِلَ لها، ويُبَشَّر أيضًا بألَّا يخافَ من مستقبل، ولا يحزنَ على ماضٍ.

ثم قال بعض السلف: يقع في قلب الإنسان المُبَشَّر ماذا يكون مصيرُ أولاده؟ فيقولون: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ نتولَّاكم، وكذلك نتولَّى أولادَكم من بعدكم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

وسواءٌ كان هذا القول صحيحًا أم غير صحيح فإن الإنسان إذا بُشِّر بالجنة، وقالت الملائكة: نحن نتولَّاكم في الدنيا وفي الآخرة، لا شَكَّ أن هذه بشارةٌ عظيمةٌ، تُسَهِّل خروجَ الرُّوح من البَدَن؛ لأنه إذا بُشِّر بأنه سيرتحل إلى شيء أكمل وأحسنَ من الدنيا سَهُلَ عليه مُفارقةُ الدنيا، فتنقاد، اللهم اجعلنا من هؤلاء.

(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ)



١٠/ ٣٧٦

[٢] هذا في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ أي: من آياته الدالَّة على قُدْرته ورحمته عَزَّوَجَلَّ الجواري -وهي السُّفُن- في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: تتحرَّك بالأمواج، لكنها لا تسيرُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ فجعل لهذه الجواري ثلاثَ حالات:

الأُولى: حالة الجريان بهدوءٍ واطمئنانٍ حتى تصلَ إلى مَرْسَاها.

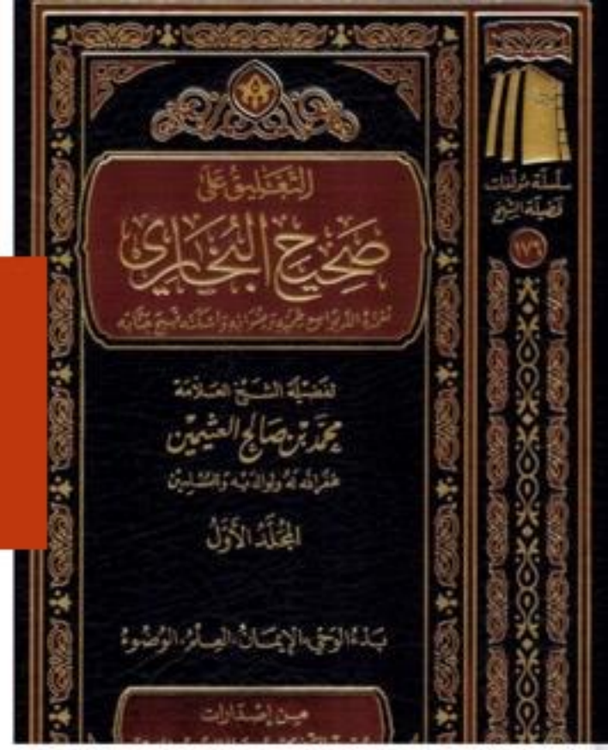
الثانية: حالة الركود إذا سكنت الريحُ، فإن السُّفُنَ الشراعيَّة لا تستطيع أن تمشيَ؛ لأنها تمشي على الريح.

الثالثة: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يُغْرِقهن حتى تهلك السفينةُ ومَن فيها ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾.

وهكذا نقول في السُّفُن الموجودة الآن، وإن كانت أقْوَى من السُّفُن السابقة، لكن

= لو شاء الله عَزَّوَجَلَّ لأَوْبَقها وأهْلَكَها، ولعطَّل مُحرِّكاتها، ورُبَّما يتسرَّب الوقودُ منها، وتبقى واقفةً.

معنى قوله تعالى:



"قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ"

١٠/ ٣٩٧

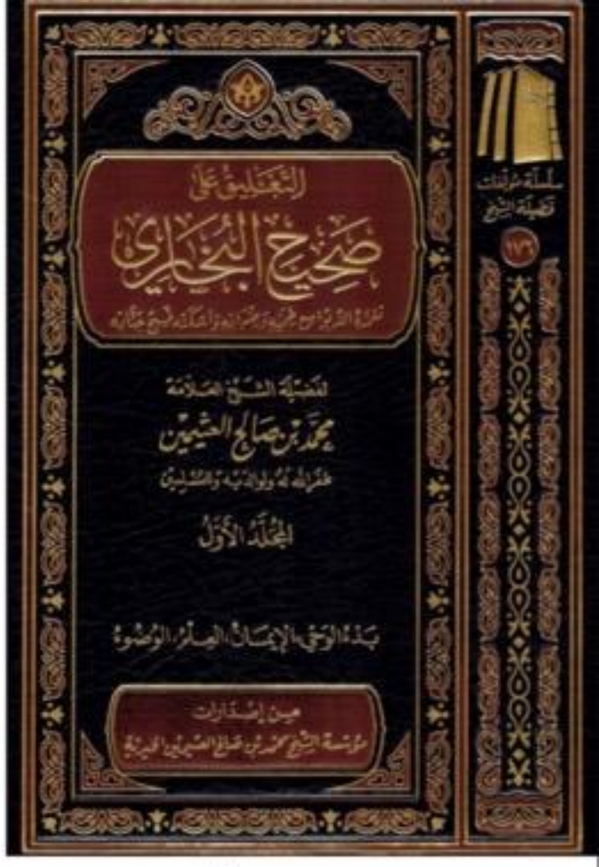
[١] هذا في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١] وهذا ردٌّ على مَن قالوا: إن لله ولدًا، سواء قالوا: إن الملائكة بناتُ الله، أو عُزَير ابن الله، أو المسيح ابن الله، و«إِنْ» هنا لا تقتضي الوقوع.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ قال: «الجَاحِدِينَ» أي: الجاحدين لهذا الولد المُنْكِرين له، ولكن هذا فيه شيء من النظرٌ.

والقول الثاني في المسألة: أن المعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله وإن كان له ولدٌ، يعني: أن كونه له ولدٌ لا يمنعني من أن أعبده وحده على فرْضِ ذلك، ولكنه ليس له ولد، وهذا هو أحسنُ ما يُقال فيها، كأنه يقول: حتى لو كان له ولدٌ فلماذا لا تعبدونه أنتم؟! فالواجب أن تعبدوه وحْدَهُ وإن كان له ولدٌ.

والقول الثالث: إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لهذا الولد، ولكن ليس له ولدٌ، فلا أعبد سواه؛ لأن النصارى يعبدون المسيح ابن مريم، ويقولون: إنه ولدُ الله، وإن الله ثالثُ ثلاثة.

(أمّة) في القرآن تأتي على عدة معانٍ



١٠/ ٣٨٢

و«أُمَّة» تأتي لعِدَّة معانٍ:

الأول: بمعنى: مِلَّة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢] أي: ملَّتكم.

الثاني: بمعنى: زمن، كما في قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥].

الثالث: بمعنى: إمام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠] أي: إمامًا.

الرابع: بمعنى: طائفة، قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣] أي: طائفةً.